جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
العلوم الاجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية
فلسفة
فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
راوية بويعقدن

يوم: //

سؤال القيم في فلسفة نيتشه

لجنة المناقشة:

معاريف أحمد	أستاذ	الجامعة	مشرف
العضو 2	الرتبة	الجامعة	الصفة
العضو 3	الرتبة	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية 2024-2025

شكر وتقدير

أحمدُ الله أولًا وأخيرًا، الذي وفقني ويسّر لي السُبل حتى أتممت هذا العمل، رغم ما اعترضني من صعوبات وتحديات.

أتقدّم بخالص الشكر والامتنان لكل من وقف إلى جانبي في مسيرتي البحثية، وخصّني بدعمه، أو بكلمة طيبة، أو بدعاء في الغيب. إلى كل من أسدى إليّ نصحًا أو أعارني انتباهًا أو منحني وقتًا من وقته، شكري العميق وامتناني الصادق

وموجّه لكل من كان له أثر، ولو خفي، في تشكيل ملامح هذا العمل.

هذا العمل ثمرة لجهود مشتركة، وفضل ممتد، لا أنسبه لنفسي وحدي، بل لكل من آمن بي ورافقني في هذا الطريق،

إلى أولئك الذين كانوا النور حين أظلم الطريق، والصوت الذي يهمس: "تابعي، لا تتوقفي الآن".

إلى من آمنوا بي.

إهداء

إلى والديّ العزيزين، "مبارك بويعقدن، حزازاطة غالية"

اللذين غمراني بدعمهما، وصبرهما، ودعائهما الصادق في كل مراحل الطريق. هذا الثمر من غراس محبّتكما وتضحياتكما.

إلى صديقتي العزيزة" هاني خديجة"،

التي كانت نورًا يرشدني في لحظات الحيرة، وسندًا صادقًا لا يُقَدَّر بثمن. لولا كلماتها وإشاراتها، لما اهتديت إلى الطريق.

إلى أستاذي الفاضل،" احمد معاريف"

الذي قبِل أن يكون مشرفي حين غيّرت طريقي، وفتح لي أبواب الدعم دون تردّد، ولم يتركني حتى عندما وصلت متأخرة. فكان المثال الحيّ على أن العطاء لا يُقاس بالوقت، بل بالنية والصدق والإنسانية.

وأخيرًا،

إلى نفسي، راوية بويعقدن

لأنها قاومت، وصبرت، وأصرّت على المضيّ، رغم كل العثرات.

إليكِ أُهدي هذا العمل، دليلاً على أنكِ كنتِ قادرة دائماً، حتى عندما شككتِ في ذلك.

إنني أقدّم هذا العمل صدقةً جارية، على كل من يطّلع عليه، راجيةً أن يكون فيه نفع، وأثراً طيبًا لا ينقطع.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر وتقدير	
إهداء	
فهرس المحتويات	
مقدمة	أ–و
الفصل الأول: الاطار النظري لفلسفة نتشه	
المبحث الأول: الجذور التاريخية لفلسفة القيم عند نتشه	9
المطلب الأول: مفهوم القيمة	11–9
المطلب الثاني: تأثير كانط	14–11
المطلب الثالث: تأثير شوبنهاور	16–14
المبحث الثاني: مفهوم القيم في فلسفة نيتشه	17
المطلب الأول: تعريف القيم في فلسفة نيتشه	24–17
المطلب الثاني: نقد نتشه للأخلاق المسيحية	34–25
الفصل الثاني: بناء الذات في عالم وبلا قيم تقليدية	
المبحث الأول: القيم الجديدة في فلسفة نيتشه	39

فهرس المحتويات

المطلب الأول: إرادة القوة	49-39
المطلب الثاني: أخلاق السادة	55-49
المبحث الثاني: استراتيجيات القيم الفردية لـ نيتشه	55
المطلب الأول: الإنسان الأعلى	60-55
المطلب الثاني: الخلود الأبدي	67-60
الفصل الثالث: رؤية نقدية ومآلات المشروع النيتشوي	
المبحث الأول: النيتشوية بين التلقي الغربي والتفاعل العربي	72
المطلب الأول: امتداد النيتشوية في الفكر الغربي	76-72
المطلب الثاني: حضور الفكر النيتشوي في الخطاب الفلسفي العربي	80-76
المبحث الثاني: قراءة تحليلية نقدية	80
المطلب الأول: تقييم أفكار نيتشه	83-80
المطلب الثاني: نقد أفكار نيتشه	86-83
خاتمة	91-90
قائمة المصادر والمراجع	95-93
ملخص الدراسة	

مقدمـــــة

مقدمة

يُعدّ عصر الحداثة الأوروبية مرحلةً فكرية وثقافية انطلقت في القرن السابع عشر وامتدت إلى القرن التاسع عشر، حيث شكّل هذا العصر نقطة تحوّل كبرى في تاريخ أوروبا؛ إذ غيّر جذريًا طريقة تفكير الإنسان ونظرته إلى العالم. ومع مرور الوقت، بدأت أسس هذا العصر – من عقلانية، وعلمية، وأخلاقية– تتعرّض للنقد والتشكيك، خاصةً فيما يتعلّق بالإيمان التقليدي والمُطلقات الدينية والأخلاقية. وقد نتج عن ذلك أزمات روحية بسبب الاغتراب، وأزمات قيمية نتيجة صعود العلم والعقلانية الحديثة، خاصة بعد انتشار أفكار داروين ونظرياته حول التطور، التي أدّت إلى اهتزاز الكثير من اليقينيات الدينية.

في ذلك السياق، كانت القيم الفيكتورية سائدة، وهي منظومة أخلاقية صارمة تركّز على العفّة، والاحتشام، والإيمان، والواجب، والمسؤولية. غير أن هذه القيم بدأت تتعرّض لتحوّلات جذرية خلال القرن التاسع عشر، إذ لم تَعُد مفهومة بوصفها مستمدّة من الدين والمطلقات، بل بدأت تُفسَّر وفق منطلقات مادية وعلمية؛ فباتت الأخلاق، في نظر البعض، تعبيرًا عن مصالح الطبقات كما في فكر ماركس، أو نتيجة للتطور البيولوجي كما عند الداروينيين.

وفي ظل هذه التحوّلات والاضطرابات، ظهر فريدريك نيتشه كفيلسوف استثنائي، يحمل في يده المطرقة ليهدم ما اعتبره أوهامًا من القيم الزائفة والموروثة. رأى نيتشه أن الإنسان الحديث يعيش على أوهام أخلاقية لم تَعُد صالحة، وأنّ محاولات تجديد القيم من قبل الفلسفات السابقة قد فشلت لأنها جرّدت الإنسان من روحه وعمقه، وحوّلت القيم إلى أدوات نفعية ووظائف بيولوجية. لذلك، جاء مشروعه الفلسفي ليشكّل نقدًا جذريًا للمنظومات الأخلاقية والدينية الموروثة، وسُمي بـ"فيلسوف المطرقة" لجرأته في تفكيك كل ما يُعتبر مقدّسًا أو ثابتًا.

إن دعوة نيتشه إلى تحطيم الأصنام الفكرية ليست دعوة إلى الفوضى أو إنكار كل القيم، بل هي دعوة إلى تحرير الإنسان ليصوغ قيمه من ذاته، ويبتكر نمط عيشه وفق حريته وإرادته الخاصة. فالأخلاق، عنده، ليست نسقًا جامدًا يُسلّم به، بل فضاءً للخلق والتجديد.

وعليه، فإن فريدريك نيتشه يُمثّل منعطفًا حاسمًا في تاريخ الفكر الأخلاقي، إذ أسّس لمنظور جديد في فهم القيم. ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على القيم الجديدة التي نادى بها، ومحاولة فهم مشروعه في مساءلة الأخلاق الغربية.

مقدمة

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف المتّصلة بسؤال القيم في فلسفة نيتشه، ويمكن إجمالها فيما يلي:

توضيح المفاهيم المركزية المرتبطة بسؤال القيم في فكره، مثل: موت الإله، أخلاق السادة والعبيد، إرادة القوة...

بيان ما إذا كان نيتشه يسعى فقط إلى هدم القيم التقليدية، أم إلى بناء منظومة قيم بديلة تُعيد للإنسان حريته وتفرّده.

- الكشف عن التأثيرات المحتملة لفكر الفيلسوف على فلسفات لاحقة أو على قضايا معاصرة تتعلق بالقيم أو الحرية أو المسؤولية.
- الكشف عن العلاقة بين فلسفة نيتشه والواقع الإنساني المعاصر، لا سيما ما يتعلق بأزمة القيم والمعنى والحرية.
- إبراز الطابع النقدي والتحرري لفكر نيتشه، وبيان كيف يمكن أن يشكّل مدخلًا لإعادة النظر في بعض المسلّمات الفكرية والاجتماعية.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول إحدى الإشكاليات الجوهرية في الفلسفة المعاصرة، وهي مسألة القيم، من خلال نموذج فلسفي مؤثر كنيتشه، الذي أعاد مساءلة الأسس التي قامت عليها الأخلاق الغربية التقليدية.

أسباب اختيار الموضوع

أسباب ذاتية:

- جاء اقتراح الموضوع من قبل الأستاذ المشرف، وقد وجدته منسجمًا مع اهتماماتي الفكرية وتطلعاتي البحثية.
- لدي شغف خاص بفكر نيتشه نتيجة قراءات سابقة وتأثر فكري بشخصيته الفلسفية، ما أثار رغبتي في التعمق فيه أكاديميًا.
- يمثل فريدريك نيتشه فيسلوفا عميقا اثار فضولي الفكري لما يتميز به من جراءة في طرح الافكار الاعجاب بأسلوب نيتشه الذي يمزج بين الفلسفة والشعر والرمز مما جعل البحث فيه ممتعة ومحفزة في آن واحد افكار

مقدمة

نيتشه تدفع بالتفكير بطريقة مختلفة عن المعتاد وتفتح امامي ابوابا جديدة في كثير من القناعات التي اظنها ثابتة.

أسباب موضوعية:

- يحتفظ الموضوع بأهميته في ظل الأزمات القيمية التي يعيشها العالم المعاصر، مما يجعله جديرًا بالتأمل والدراسة.
- رغم تعدد الدراسات حول نيتشه، إلا أن سؤال القيم في مشروعه لا يزال يحتمل قراءات متجددة ومقاربات فكرية مغايرة.
- نيتشه يُعد من أبرز الفلاسفة الذين ناقشوا القيم بطريقة نقدية وجذرية، ما يجعل فكره مادة خصبة للدراسة الفلسفية
- نيتشه طرح سؤال القيم بطريقة تختلف عن الفلاسفة السابقين، مما يفتح امامي آفاقًا جديدة لفهم جذور العديد من القضايا الأخلاقية المعاصرة.
- يُعتبر نيتشه من أبرز الفلاسفة الذين تناولوا موضوع القيم بنقد جذري وعميق، مما يجعل دراسته ضرورية لفهم التطورات الفلسفية الحديثة في مجال القيم والأخلاق.

الإشكالية

بناءً على ما سبق، يتحدد الإشكال الرئيسي كما يلي:

إلى أيّ حد يمكن اعتبار مشروع نيتشه في قلب القيم الأخلاقية مساءلة جذرية لبنية الحقيقة، وليس مجرد تمرد أنطولوجي على النظام القيمي السائد؟ وهل استطاع بناء منظومة قيمية بديلة؟

وللإجابة على هذا الإشكال، تم تفكيكه إلى الأسئلة الفرعية الآتية:

1. أيّ من التصوّرات الأخلاقية كانت هدفًا لنقد نيتشه؟ ولماذا اعتبرها زائفة ومُدمّرة للحياة؟
2. ما هي القيم الجديدة التي نادى بها نيتشه؟
3. هل يُمثّل تصور نيتشه دعوة للتحرر، أم تمهيدًا لنزعة القوة؟

منهج الدراسة

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي؛ حيث اقتضى التحليل الوقوف عند المفاهيم المحورية في فكر نيتشه، مثل "موت الإله"، "قلب القيم"، و"إرادة القوة"، بينما تمثّل الجانب النقدي في مناقشة آراء نيتشه تأييدًا أو تعديلًا أو تجاوزًا.

خطة البحث

يتكوّن هذا البحث من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة:

الفصل الأول: الإطار النظري لفلسفة نيتشه

المبحث الأول: الجذور التاريخية لفلسفة القيم عند نيتشه.

المطلب الأول: مفهوم القيمة

المطلب الثاني: تأثير كانط

المطلب الثالث: تأثير شوبنهاوز

المبحث الثاني: مفهوم القيم في فلسفة نيتشه، وقلبه للقيم ونقده للأخلاق المسيحية.

المطلب الأول: تعريف القيم في فلسفة نيتشه

المطلب الثاني: بناء الذات في عالم بلا قيم تقليدية

الفصل الثاني: بناء الذات في عالم بلا قيم تقليدية

المبحث الأول: إرادة القوة وأخلاق السادة.

المطلب الأول: إرادة القوة

المطلب الثاني: أخلاق السادة

المبحث الثاني: استراتيجيات القيم الفردية عند نيتشه

المطلب الأول: الانسان الأعلى

المطلب الثاني: الخلود الابدي

الفصل الثالث: رؤية نقدية ومآلات المشروع النيتشوي

المبحث الأول: النيتشوية بين التلقي الغربي والتفاعل العربي.

المطلب الأول: امتداد النيتشوية في الفكر الغربي.

المطلب الثاني: حضور الفكر النيتشوي في الخطاب الفلسفي العربي.

المبحث الثاني: قراءة تحليلية نقدية.

المطلب الأول: نقد أفكار نيتشه.

المطلب الثاني: تقييم عام لأفكاره.

الدراسات السابقة

اعتمدت على مجموعة من الدراسات التي شكّلت خلفية معرفية مهمة، نذكر منها:

1. عبارة آمال، الفيلسوف وتجربة الابداع عند فريدريك نيتشه، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2014/2013.
2. نذير الخريف، الانسان المتسامي عند كل من فريدريك نيتشه ومحمد اقبال وجبران خليل جبران، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، الطور الثالث، تخصص: الادب المقارن، جامعة الجزائر 2، ابو القاسم سعد الله، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، 2019-2020.

صعوبات البحث

واجهتني عدة صعوبات، أهمها:

- ✓ صعوبة فهم آراء نيتشه بسبب الطابع الرمزي والتأملي في أسلوبه، الذي يجمع بين الفلسفة والأدب والشعر.
- ✓ تفكك مشروعه الفلسفي وغياب النسق المنهجي الصارم، إذ يُقدّم أفكاره في شكل مقاطع مجزأة وعميقة قابلة لتعدّد التأويلات.
- ✓ اضطراري في مرحلة سابقة إلى تغيير الموضوع والمشرف، مما استدعى إعادة التوجيه الفكري والمنهجي، وأدى إلى بذل جهد ووقت إضافيين.

الفصل الاول: الإطار النظري لفلسفة نتشه

المبحث الاول: الجذور التاريخية لفلسفة القيم عند نتشه

المطلب الأول: مفهوم القيمة

مطلب الثاني: تأثير كانط

المطلب الثالث: تأثير شوبنهاور

المبحث الثاني: مفهوم القيم في فلسفة نيتشه

المطلب الأول: تعريف القيم في فلسفة نيتشه

المطلب الثاني: نقد نتشه للأخلاق المسيحية

تمهيد

تُعدّ فلسفة القيم أحد أعمق المنعطفات في تاريخ الفكر الغربي، ولذلك شكّل سؤال القيم محورًا أساسيًا في فلسفة فريدريك نيتشه، حيث أعاد التفكير في مفهوم "القيمة" ذاته، في إطار تفكيره النقدي الجذري. فقد قدّم نيتشه نقدًا عميقًا للقيم التقليدية السائدة، بما في ذلك الأخلاق الغربية، وخاصة تلك المستمدة من الدين المسيحي، محاولًا إعادة تقييمها وفق رؤية جديدة تتجاوز المنظورات التي كانت سائدة.

وقد شكّلت تحليلاته في هذا السياق منعطفًا حاسمًا، جاءت كحصيلة حوار نقدي مع التراث الفلسفي الألماني تحديدًا، والذي قام على أسس نقدية غير مسبوقة.

غير أنّ هذا المشروع لا يكتمل دون العودة إلى الجذور الفكرية التي ساهمت في تشكيل رؤيته، وعلى رأسها تأثير كل من شوبنهاور وكانط، إذ مثّل كل منهما نقطة تحوّل في المسار الفلسفي لنيتشه.

المبحث الأول: الجذور التاريخية لفلسفة القيم عند نيتشه

المطلب الأول: مفهوم القيمة

كلمة "القيمية" التي انتشر استعمالها في عصرنا، بمعنى الكلمة الفرنسية Valeur، تدل أصلًا على اسم النوع من الفعل "قام"، بمعنى وقف، واعتدل، وانتصب، وبلغ، واستوى. [1]

ففي اللغة: قَيَّم الشيء تقييماً، أي قدّر قيمته. أما المدلول المعنوي، فهو من وضع اللاهوتي "ريتشِل"، وغايته أن يقي الدين هجمات العلم، بأن يُعيِّن لكل منهما مجالًا خاصًا: للعلم الظواهر والقوانين، وللدين القيم. [2]

وقيمة الشيء من الناحية الذاتية، هي الصفة التي تجعل ذلك الشيء مطلوبًا ومرغوبًا فيه عند شخص واحد أو عند طائفة معينة من الأشخاص. ومثال ذلك أن "النسب عند الأشراف" قيمة. [3]

فالقيمة كلمة يستعملها أصحاب الاختصاصات المختلفة من لغويين وموسيقيين ورياضيين واقتصاديين وفلاسفة وغيرهم.

فاللغويون، حسب "كي"، يدلّون بها على المعنى الصحيح للألفاظ حسب الاستعمال، ويحكمون على الإنسان بأنه لا يعرف قيمة الكلمات إذا كان يستعملها استعمالًا يُبعدها عن معناها الصحيح.

والموسيقيون يدلّون بها على المدّة التي يجب أن تكون للنوتة المُراد بها الصوت، فقيمة النوتة البيضاء ضعف قيمة النوتة السوداء. [4]

---

[1] ربيع، ميمون، إشكالية القيم في فكر فلسفي معاصر، الجزائر، ص 27.

[2] مراد، هبة، معجم فلسفي، القاهرة: دار قباء الحديثة، 2007، ص 506.

[3] صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج2، بيروت، لبنان: مكتبة مدرسة، 1982، ص 212.

[4] ربيع، ميمون، مرجع سبق ذكره، ص 29.

ويُطلق لفظ "القيمة" في علم الأخلاق على ما يدل عليه لفظ "الخير"، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيريّة، فكلما كانت المطابقة للخير أكمل، كانت قيمة الفعل أكبر.[1]

وعليه، فإنه لا توجد "قيمة" واحدة، بل عدد من القيم يفصل بعضها عن بعض بصفة تلقائية إلى حدّ ما، وتنقسم بالنسبة إلى كل إنسان إلى قيم حقيقية وغير حقيقية. وهي على كل حال كثيرة، وميدانها واسع، تحدّ معالمه كل الألفاظ المتقابلة التي يمكننا تفضيل مدلولاتها بعضها على بعض، ونقول عنها: «إنها خير... أو أحسن من... أو أفضل من...». [2]

فالعدل، والشجاعة، والحِلم، قيم متمايزة، ولكن يمكن أن تظهر ما بينها من قرابة إذا جمعناها تحت عنوان "القيم الأخلاقية". وكذلك الجمال، واللطافة، والحُسن، إذا أدرجناها تحت عنوان "القيم الجمالية". ومثلها أيضًا: الحق، والباطل، والاحتمالي، إذا جمعناها تحت عنوان "القيم المنطقية". [3]

أما مفهوم "القيمة" عند نيتشه، فمن وجهة نظر هايدغر، فهي تنتمي إلى مؤلف إرادة القوة، حيث يقول نيتشه: «إن وجهة نظر القيمة هي وجهة نظر شروط البقاء والنمو بالنسبة للتشكيلات المعقدة للحياة داخل الصيرورة». وهكذا، فالقيمة هي وجهة نظر تُفيد في تقدير وتقييم الأشياء، وجهة نظر يتم تثبيتها في كل حين بأسلوب الرؤية، وبالكيفية التي تتم بها تلك الرؤية.

لكن، ما الذي تستهدفه وترمي إليه وجهة النظر هذه؟ يجيب نيتشه: «وجهة نظر القيمية هي وجهة نظر شروط البقاء والنمو».

1 صليبا، جميل، نفس المرجع، ص 213.

2 ربيع، ميمون، مرجع سبق ذكره، ص 31.

3 نفس المرجع، ص 32.

بمعنى أن وجهة النظر هذه قد تُعيق غريزة البقاء والنمو أو قد تُسهّل مهمتها. فماهية القيمة هي شرط للبقاء أو للزيادة. [1]

إذن، فالقيمة هي أساس وجهة نظر، بواسطة هذه الوجهة تتم الزيادة في "مراكز الهيمنة" أو الحدّ منها واختزالها، لأنها بمثابة شروط لبنيات الهيمنة داخل الصيرورة، أي شروط للواقع، الذي هو في طابعه الأساسي عبارة عن "إرادة القوة".

وعليه، فالدين، والأخلاق، والفلسفة، والعلم، والفن، والثقافة بصفة عامة، تقوم كلها مقام "القيم"، من حيث هي شروط ضرورية لتنظيم الحياة والتحكم في الصيرورة. [2]

المطلب الثاني: تأثير كانط

ينتقد كانط بشدة تحويل الدين إلى مجرد طقوس وشعائر شكلية، حين يصبح أداء المراسيم والطقوس الدينية معيارًا للأخلاق بدلًا من العقل العملي والأخلاقي. حيث يرى أن هذا الشكل من التديّن يفقد الأخلاق قيمتها ومضمونها، لأن الناس يعتقدون أنهم يتميزون بالأخلاق النبيلة فقط لأنهم يلتزمون بطقوس معينة، بينما قد تفتقر أفعالهم إلى النية الأخلاقية الحقة. كما ينتقد رجال الدين الذين يقدّسون هذه الطقوس، لأنها تُعد سبيلًا لتضليل الناس عن جوهر الأخلاق، وهذا ما نجده في قوله: "أما عن تحول الدين إلى مجموعة من المراسيم والعقائد والطقوس الشكلية، وعلّق الناس أهمية بالغة على هذه الطقوس والمراسيم وفضّلوها على الناحية الأخلاقية التي جاء بها الدين، وجعلوا المراسيم والطقوس امتحانًا تُقاس به الفضيلة، فإن هذا يعني انتهاء أمر الدين وزواله"[3]

1 أندلسي، محمد، نيتشه وسياسة الفلسفة، ط1، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2006، ص 69.

2 أندلسي، محمد، نفس المرجع، ص 70.

3 ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة د. فتح الله محمد مشعشع، مكتبة معارف، بيروت، ط6، 1988، ص 356.

وقد أقرّ كانط أن الفعل الأخلاقي يستمد قيمته الأخلاقية من الإرادة الخيّرة أو الطيبة، لأنها تُعتبر الشيء الوحيد الذي يمكن اعتباره خيرًا بصورة مطلقة، فهو الوحيد الذي يمتلك قيمة كامنة على نحو غير مشروط، وهو بذلك الخير الأسمى.

وهذا ما عبّر عنه كانط في كتابه تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق بقوله: "من بين كل ما يمكن تصوره في العالم، بل وبوجه عام خارج العالم، ليس ثمة ما يمكن اعتباره خيرًا دون تحفظ إن لم تكن الإرادة الخيّرة" [1]

والإرادة الخيّرة لا تكون خيّرة بما تُحدثه من أثر، أو بما تُحرزه من نجاح، ولا بصلاحيتها للوصول إلى هذا الهدف أو ذاك، بل إنها تكون كذلك عن طريق فعل الإرادة وحده. أعني أنها خيّرة في ذاتها، وأنها إذا نُظر إليها في ذاتها، لا بدّ لنا بلا وجه مقارنة أن نقدّرها تقديرًا يرفعها درجات عن كل ما من شأنه أن يتحقق بواسطتها لمصلحة ميل من الميول. وهنا يشير كانط إلى أن الإرادة الخيّرة لا تستمد خيرها من النتائج التي تحققها أو من النجاح الذي قد تُحرزه، ولا بكونها وسيلة لبلوغ غاية معينة؛ فهي ليست خيّرة لأنها تحقق مصلحة، بل هي خيّرة في ذاتها، أي دون النظر إلى ما تحققه من أهداف [2]

والإرادة الخيّرة في النسق الخُلقي الكانطي هي إرادة عقلية، تتسلح بأدوات العقل للتحكم في جانبها الغريزي، وهي بالتالي منحازة عن أي تصور نفعي غرضي، وملازمة لمبادئ العقل السليم، لأنها تخضع في الأخير لمفهوم الواجب الخُلقي [3]

1 سعيد بن عزة وفوزي لوحيدي، "القيمة الأخلاقية في فلسفة كانط"، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، جامعة وادي، مجلد 5، عدد 4، 2021، ص 125.

2 إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة د. عبد الغفار مكاوي، ألمانيا، الطبعة الأولى، 2002، ص 39–40.

3 د. دريم منصور، "دلالة النسق الكانطي"، مجلد 2، عدد 2، 2021، ص 266.

وقد ارتبطت الإرادة الخيّرة بفكرة الواجب الأخلاقي، وهذا الأخير هو إلزام أخلاقي نفرضه على أنفسنا بإرادتنا الحرة ما دمنا أحرارًا. لهذا، فإن الإرادة الطيبة ليست سوى ضرورة الفعل بحسب ما يُمليه العقل، إنها "إرادة الواجب". وهنا يقرّ كانط بأن الفعل الأخلاقي إلزام داخلي نابع من العقل، لا من الرغبات الحسية والمنافع الشخصية [1]

وينقسم الواجب الأخلاقي إلى نوعين من الأوامر:

- الأمر الشرطي، وهو يقول: «يجب أن تفعل كذا وكذا إذا كنت تروم إنجاز هذه الغاية أو تلك»
- والأمر المطلق، الذي يقول: «إن ثمة فعلًا ضروريًا ضرورة موضوعية، بصرف النظر عن أية غاية»

بمعنى أن الأول (الأمر الشرطي) يعتمد على تحقيق غاية ما، والثاني (الأمر المطلق) لا يعتمد على تحقيق أية غاية أو نتيجة، بل يجب فعله لأنه واجب في حد ذاته [2]

واعتبر كانط بأن القانون الأخلاقي غير مشروط، ولا يحتاج إلى تبرير، فهو مطلق... ومنزه... وكلي... ويخضع إلى ثلاث قواعد أساسية، وذلك حتى يكون له قيمة أخلاقية، وهي:

أولًا: قاعدة التعميم ومفادها: "افعل طبقًا للقاعدة التي تجعل من الممكن أن تريد لها في الآن نفسه أن تُصبح قانونًا كليًا".

أي أن الإنسان يجب أن يتصرف على نحوٍ يستطيع فيه أن يتمنى أن يتصرف به الجميع، أي أن فعلك يمكن تعميمه على جميع الناس.

ثانيًا: قاعدة الغائية، ومفادها: "افعل على نحو تعامل فيه الإنسانية، في شخصك كما في شخص غيرك، كغاية دائمًا، وفي الوقت نفسه لا كمجرد وسيلة".

أي لا يجوز استخدام الآخرين كأداة لتحقيق غاياتنا.

---

1 مجلة السراج، مرجع سابق، ص 125–126.

2 برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، 1988، ص 324.

وأخيرًا: قاعدة الحرية، ومفادها: "افعل بحيث تكون إرادتك بمثابة مشرّع يسنّ للناس قانونًا عامًا".

أي أن الإنسان يرى نفسه كمشرّع أخلاقي يضع لنفسه القوانين بحرية [1]

وقد أكّد كانط على أن القيمة الأخلاقية مطلقة وثابتة دائمًا، بعيدة عن كل التأثيرات والظروف؛ فهي لا تستمد خيريتها من الغايات أو المقاصد، بل هي مستقلة بذاتها. وتتميز القيمة الأخلاقية عند كانط بعدة خصائص، منها:

أولًا: أنها مستقلة عن الوجود، بمعنى أنها تجعل من العمل الأخلاقي خاضعًا لتشريع عام ومبادئ العقل.

ثانيًا: أنها صورية، بمعنى أنها فارغة من كل مضمون مادي.

كذلك، هي مرتبطة بالحرية،

وأخيرًا: أنها غاية في ذاتها وليست وسيلة، أي أن الفعل الأخلاقي لا يرتبط بأي مصلحة [2]

المطلب الثالث: شوبنهاور

يرفض شوبنهاور تلك الفكرة المسيحية التي تقول إن خلود حياتنا يكمن في معرفتنا بالله، ويرى أن مثل هذه المعرفة ليست إلا وهمًا، وأننا إذا اخترقناه فلن نجد أنفسنا في مواجهة الله، بل في مواجهة الشيطان، أي في مواجهة الإرادة الشريرة القادرة على كل شيء، وهي تنسج خيوطها العنكبوتية حول البشر، تخنقهم وتعذبهم وتلحق الألم والأذى بهم. وفي ختام الحديث عن شوبنهاور، يجدر بنا أن نبين أنه كان يحتقر رجال اللاهوت، ويصف الدين بأنه ميتافيزيقا الشعوب. وكان طبيعيًا أن يرفض شوبنهاور المسيحية، لأن أسلوبه في تربيته وتنشئته لم يزرع فيه احترام الدين أو الكنيسة. وهنا ينتقد النظرة المسيحية القائلة إن الله مصدر للخلاص والخلود، حيث يعتبر هذا القول مجرد وهم. وعندما يكتشف الإنسان أن هذا وهم، يجد نفسه يواجه قوة شريرة تتمثل في الإرادة، وهذه الأخيرة ليست عاقلة، بل تشبه الشيطان في طابعها، حيث تغمر الإنسان بالألم والمعاناة. وفي هذا السياق تظهر وجهة نظر

1 مجلة السراج، مرجع سابق، ص 126.

2 نفس المرجع، ص 125–127.

شوبنهاور لانتقاده للدين. ومن هذا المنطلق، فهو يحتقر رجال اللاهوت، ويرى أن الدين مجرد وهم وضعوه للناس حتى يطمئنوا من قلقهم. ورفضه للمسيحية مرتبط أيضًا بتنشئته التي لم تغرس فيها أي هيبة أو تقديس للكنيسة. [1]

لذلك يعلن شوبنهاور بأن عاطفة "الشفقة" كمعطى وكأساس أخلاقي لا تفتقر إلى الأدلة، بل يمكن إثباتها تجريبيًا وميتافيزيقيًا. ويعطي مثالًا: أن ترى شخصًا يتخذ قراره فورًا، دون أدنى تفكير، لمساعدة شخص آخر، ونجده معرضًا حياته للخطر. وفي هذا المعنى يكمن تعريفه للشفقة، فهي المشاركة الفورية كليًا دون حكم مسبق في آلام الآخر أولًا، وتوقيف أو تعطيل أو إزالة تلك الآلام، وهنا تكمن العدالة.[2]

حيث يؤكد شوبنهاور أن الشفقة سر الأخلاق، ذلك لأن الفعل الذي لا يهدف إلا إلى سعادة الفاعل مرذول، لأنه أناني، والأنانية تنافي قيم الأخلاق. والفعل الأخلاقي حقًا هو الذي يهدف إلى إبعاد الشقاء عن الغير أو إلى جلب السعادة له. والشفقة تمتزج فيها الذات مع الغير، ومن الشفقة تستمد العدالة، ذلك لأن أول درجة ناشئة من الشفقة تعترض الشرور التي سنحدثها للآخرين. بمعنى أن الشفقة هي أساس الأخلاق والدافع الوحيد للفعل الأخلاقي الصادق. فالأفعال التي تهدف إلى تحقيق سعادة الذات تعد أفعالًا أنانية، ذلك لأنها تركز على إسعاد الذات وإهمال الآخر. فالفعل الحقيقي، حسب شوبنهاور، هو الذي يسعى إلى تخفيف الشقاء عن الغير. وفي حالة وجود الشفقة، تزول الحدود بين الذات والغير، وهنا تنبع العدالة، لأنها تمنع الفرد من إلحاق الأذى بالآخر.[3]

كما يقر أن الإرادة هي مصدر دائم للمعاناة والألم، وهو ما يؤسس السلوك الأخلاقي الحقيقي. فحين يدرك الإنسان أن الرغبات لا تنتهي، وأن السعي وراءها لا يجلب سوى الألم، ذلك لأن الإرادة تعني الرغبة، وهذه الرغبة بطبيعتها لا تنتهي، فهي تطلب دومًا المزيد، ولا يتحقق الرضا، بل تبعث وراءها العديد من الرغبات. وهكذا يجد الإنسان نفسه في حلقة مفرغة من السعي دون انتهاء أو اكتفاء. ويشبه شوبنهاور هذا الوضع بالصدقة التي تُعطى للفقير، قد تغنيه عن جوع اليوم، لكنها لا تحميه من بؤس الغد، لأن الحاجة تتجدد دومًا. وبالتالي، فالإرادة بوصفها

1 رمسيس عوض، ملحدون ومعاصرون، ط1، 1998، ص 16–17.

2 د. عبد الرحمان، "أخلاق الشفقة عند شوبنهاور"، مجلة المفكر، المجلد 7، العدد الأول، جامعة الجزائر 2، ص 503.

3 وفيق غريزي، شوبنهاور: فلسفة التشاؤم، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2008، ص 193–194.

جوهر العالم تجعل الألم أمرًا ملازمًا للوجود. وهذا ما نجده في قوله: «ولكن إذا كان العالم في حقيقته إرادة، لا بد وأن يكون مليئًا بالألم والعذوبة، وذلك لأن الإرادة نفسها تعني الرغبة، وهي دائمًا تطلب المزيد مما حصلت عليه، وفي إشباع رغبة يطل من ورائها عشرات الرغبات التي تطلب إشباعها وتحقيقها. إن الرغبة لا نهاية لها، ومن المتعذر إشباعها جميعًا. إنها كالصدقة التي ندفعها للفقير تغنيه عن الجوع اليوم ليواجه البؤس والفقر غدًا».[1]

لذلك اعتبر شوبنهاور الزهد هو المرحلة الأخيرة التي ينتصر فيها العقل على الإرادة انتصارًا كاملًا.[2]

فالزاهد لا يميت إرادته فحسب، بل يميت صورتها المرئية أيضًا، وهي البدن. ولذلك فإن حياته تكون صومًا وحرمانًا دائمين، كي لا تجد الإرادة الغذاء الذي تعيش عليه، حتى يأتي الموت في النهاية، فينزع ما بقي من هذه الإرادة. فإذا جاء الموت، استقبله الزاهد فرحًا، كخلاص طالما تمناه. وبالتالي، فالزهد يمثل مرحلة السيطرة الكاملة على هذه الإرادة. والزاهد يسعى إلى قتل الإرادة من خلال إهمال الجسد بالصوم والحرمان، وعندما يأتي الموت يستقبله الزاهد بفرح، لأنه في نهاية الأمر يمثل نهاية الإرادة.[3]

1 ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة معارف، بيروت، ص 410.

2 وفيق غريزي، مرجع سابق، ص 171.

3 نفس المرجع، ص 179.

المبحث الثاني: مفهوم القيم في فلسفة نيتشه

المطلب الأول: قلب القيم في فلسفة نيتشه

يقرّ نيتشه في كتابه العلم المرح بتحطيم كل ما هو ثابت، من خلال مثلٍ صغير، وهو ذلك الرجل الأخرق الذي، بعد أن أوقد فانوسه في وضح النهار، صار يجري في ساحة السوق ويصيح دون توقف: "أبحث عن الإله!"

ولما كان كثيرون ممن لا يؤمنون بالإله متواجدين هناك بالضبط، فقد أثار ضحكًا كثيرًا.

"هل فقدناه؟" قال أحدهم، "هل شرد مثل الطفل؟" قال آخر، "هل هو خائف منا؟"

سارع الأخرق بنظرته: "أين الإله؟" صاح فيهم: "لقد قتلناه!"

وهنا يقصد نيتشه بمفهوم "موت الإله" تحطيم القيم التقليدية والثوابت التي كانت قائمة في المجتمع، حيث يرى أن انقضاض هذه القيم يساعد على إطلاق حرية الأفراد في إعادة تصميم القيم وفقًا لتجاربهم.[1]

كما يشير نيتشه في كتابه هكذا تكلّم زرادشت إلى الفكرة نفسها، أن زرادشت ينزل من الجبل بعد عزلته الطويلة، فيلتقي بناسك عجوز يعيش في الغابة كان يعرفه في الماضي، في قوله:

"انحدر زرادشت من الجبل وحيدًا باتجاه السفح، ولم يلتقِ أحدًا في الطريق، لكنه حالما بلغ الغابة، وقف أمامه فجأة شيخ مسنّ قد غادر لتوّه كهفه المقدس... كنت في عزلتك، ويحك! أتريد أن تخرج من اليابسة؟"

وهنا يكتشف العجوز فجوة عميقة بين رسالة زرادشت للعالم وإيمان العجوز الثابت بالخالق، فيقول العجوز بحدّة:

"لكنني الآن أحب الله، أما البشر فلا أحبهم، فالإنسان شيء فاحش النقص في نظري، وحب البشر سيكون هلاكي."

ويحث زرادشت على الانعزال التام عن العالم، في قوله: "لا تعطيهم شيئًا... لا تذهب إلى البشر، ابقَ في الغابة."

ولكن زرادشت، بعد انفصاله عنه، يدرك أن الزمن قد انقلب على القيم القديمة، فيصرخ بدهشة:

1 فريدريك نيتشه، العلم المرح، ترجمة: حسان بورقية ومحمد الناجي، ط1، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1993، ص 132.

"أهذا ممكن؟! هذا القديس العجوز لم يسمع أن الإله مات!"

وبهذه الصرخة، يعلن نيتشه على لسان زرادشت عن موت الإله مجازيًا، ويمهّد لقلب القيم التقليدية السائدة التي فرضها المجتمع والدين والتقاليد.[1]

وأراد نيتشه استبدال القيم التي كانت سائدة، بقيم يخلقها الفرد ذاته. ويظهر ذلك جليًّا في قوله:

"كل القيم التي تم خلقها، وكل القيم التي تم خلقها، هي أنا حقًا، لم يعد هناك من مكان لا أريد."[2]

وهكذا تبيّن أن إرجاع القيم إلى الإنسان عند نيتشه لا يعبّر عن نزعة ذاتية أو صوفية، بل هو في واقع الأمر دعوة صريحة للإنسان كي يمارس فاعليته على أوسع نطاق ممكن، فلن يقف في وجه هذه الفاعلية شيء، إذ تبيّن أن العالم لا يحمل معنى ثابتًا، وأن في وسع الإنسان أن يُضفي عليه بمجهوده الخاص من المعاني ما يشاء، مثلما أضفى عليه من قبل معناه القديم دون وعيٍ منه، ثم ثبّته وقدّسه. والقوة هي التي تدفع الإنسان إلى إضفاء قيم معينة.

ومن هنا، كان نيتشه يرمي إلى دعوته إلى انقلاب شامل في القيم، والقول بنسبية القيم يفتح محاولة لتغييرها.[3]

لذلك، يُعرف نيتشه بقلب القيم، لأنه يذهب إلى أن الأخلاق التي تتصف بالرحمة والشفقة هي أخلاق الضعف.

فالشفقة التي تقول بها المسيحية، ويقول بها شوبنهاور، تستبقي الإنسانية في حالة الضعف، وتقف ضد إرادة الحياة وكل إرادة قوة، فهي تذهب إلى حبها الأقصى، لأن الحياة لا تزدهر إلا بإخضاع ما حولها.

---

1 فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: علي مصباح، ط1، دار أقرأ، بغداد، 2007، ص 37–39.

2 نفس المرجع، ص 63.

3 فؤاد زكريا، نيتشه، ط2، دار المعارف، مصر، ص 58، 60.

ومن هنا وضع هذا المبدأ، وانقلبت القيم المتعارفة رأسًا على عقب: «قلب القيم».

ويلزم من ذلك أن إرادة القوة فردية، فهي تحب ذاتها وتقسو على الغير، بل تقسو على نفسها، إذ ترى في المخاطرة والألم ضرورة لها.

يقول زرادشت: "يجب أن نحب السلم كوسيلة جديدة للحرب، بمعنى أن قيمنا العليا مثل السلم، الرحمة... ليست غاية في ذاتها أو حالة خالدة من السكون، بل يمكن أن تكون أدوات لخوض حرب تهدف إلى تجاوز الذات وصياغة إنسان أرفع وأقوى."[1]

ويصل نيتشه من تحليله للأخلاق إلى إعلان الثورة على الأوضاع الأخلاقية السائدة، والعمل على قلب أسسها الواهية، لقصورها عن المبادئ الأساسية للسلوك الإنساني، وذلك من أجل إيجاد إنسانية أفضل وأرقى.[2]

كما يقر نيتشه أن المبادئ الأخلاقية التي يتمسك بها الناس ليست دائمًا تعبيرًا عن حقيقة موضوعية أو عن حق أو عدل، بل كثيرًا ما تكون أقنعة لحاجات ودوافع خفية. فهو يشير إلى أن نفس المبدأ يمكن أن يُستخدم لأهداف متعارضة تمامًا، بحسب ما يُخفيه الشخص من رغبات مشبوهة مشحونة بدوافع خفية. وهذا ما يعني نسبية القيم، وهذا ما نجده في كتابه "ما وراء الخير والشر" حيث يقول: "تطبيق مبادئ – يريد المرء بواسطة مبادئه أن يقمع عاداته أو يبررها أو يكرمها أو يشتمها أو يُخفيها – فإنسانان يملكان المبادئ نفسها، يسعيان بها على الأرجح إلى أمور متباينة جذريًا." [3]

كما يرى نيتشه أن القيم التي نشأت من الخضوع والخوف والضعف، مثل: الحياء، التواضع، الشفقة، الخضوع... ليست نابعة من القوة أو الإرادة الحرة، بل من انعدام القدرة. وهذا ما نجده في قوله: "عندما تكون المرأة

1 يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ط5، دار المعارف، مصر، ص 410.

2 مصطفى غالب، نيتشه، دار مكتبة الهلال، بيروت، ص 51 .

3 فريدريك نيتشه، ما وراء الخير والشر، ترجمة: جيزيلا فالور، ط1، دار الفرابي، بيروت، 2003، ص 104.

لها مثقال ذرة من حياء، وعندما تكون مثقال خردلة، فهي التي تهرب." هنا يكشف أن الحياء ليس قداسة بل ضعف، فالمرأة القوية تتحرك بإرادتها. [1]

وحسب نيتشه، فإن الناس حاولوا أن يجدوا للقيم مصدرًا آخر غير الإنسان، هذا الحيوان المتقلب. حاولوا أن يجدوها في الأشياء نفسها حتى تكون القيم ثابتة، وحتى تكون مرجعًا مشتركًا يلجأ الناس إليه جميعًا. وقد هب رجال الدين إلى القول بأن القيم مستمدة كلها من الله، وذهب البعض إلى القول بوجود عالم أعلى من هذا العالم، ومنهم من رأى الالتجاء إلى شيء آخر خارج العقل الإنساني. ولهؤلاء جميعًا يقول نيتشه: "أناتكم! فإنكم لا تخدعون بهذا غير أنفسكم. تعالوا معي ولنبحث بحثًا علميًا هادئًا في المصادر الحقيقية للقيم التي اصطلح عليها الناس، حتى تتكشف الحقيقة وتتحرر الإنسانية مما عسى أن تكون قد خُدعت فيه من أوهام إرادتها فيما هي فيه الآن، واللعنة بعدُ على الكاذبين. ولنبدأ بالأخلاق." [2]

ونراه يقف من القيم الأخلاقية موقف الناقد، فيطالب بإعادة النظر من جديد في كافة القيم السائدة، لأنها لم تعد صالحة في اتجاهها العام، ولا تفي بمطالب الإنسان الحديث، لأنها قديمة بالية في مبادئها العامة أو تفصيلاتها الخاصة، ولم يعد لها التأثير الفعّال على توجيه الإنسان نحو المثل العليا السليمة. [3]

وفي رأي نيتشه، لا يجب عليه أن يُصدر حكمه من خلال أي قيمة أخلاقية، وإنما ينبغي عليه أن يضع هذه القيم ذاتها موضع الشك، ويتأملها كما لو كان مشاهدًا حياديًا يختبرها من بداية الأمر ليقرر مدى صلاحيتها. فلكي يتسنى لنا أن نتأمل أخلاقنا الأوروبية من بعيد ونقارنها بنظم أخلاقية أخرى سابقة أو تالية، علينا أن نفعل

1فريدريك نيتشه، أفول الأصنام، ترجمة: حسان بورقية ومحمد الناجي، ط1، 1996، ص13.

2 عبد الرحمن بدوي، نيتشه: خلاصة الفكر الأوروبي، ط5، الكويت، 1975، ص 168–169.

3 شهيدة لعموري، "أخلاق السادة والعبيد"، مجلة علوم اجتماعية وإنسانية، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، العدد 2، السنة 2023، ص 642.

ما يفعله السائح الذي يريد أن يعرف مدى ارتفاع أبراج المدينة، فهو عندئذ يغادر المدينة. فالتفكير في الأحكام الأخلاقية يقتضي اتخاذ موقف خارج عن الأخلاق، بمعزل عن الخير والشر، وبهذا يرفض نيتشه كل القيم السائدة[1]

لذلك يرى نيتشه أنه لا بد من نزع ستارة الأخلاق التي تحجّب بها الإنسان، ليقول في الغرض: "من المفيد جدًا بالنسبة لي، من يريد بلوغ الحكمة، أن يكون عقله قد انشغل بعض الوقت بصورة الإنسان الشرير الفاسد بشكل جذري. إنها مزيفة مثل تلك التي تقابلها، لكنها قد هيمنت خلال أحقاب كثيرة، وجذورها قد انغرست وتشبعت في عالمنا وفينا نحن." وهنا يُعبر نيتشه عن موقفه النقدي من الأخلاق التقليدية. [2]

فيرى أن الأخلاق التقليدية تناقض أسس الحياة السليمة، وتتناقض مع الحياة التي يبشّر بها نيتشه. وجعل هدفه هو نقد هذه القيم الأخلاقية التقليدية الجامدة، كما يرى أن قيمًا مثل التعاطف، الرحمة، الشفقة... تضعف الأنا والآخر في ذات الوقت، كما أنها تهدد إمكانية الحياة بشكل عام. [3]

فمن أين أتت القيم إذن؟ إن خالق القيم هو الإنسان، وليس لها خارج الفاعلية الإنسانية أي كيان واقعي. فالإنسان هو الذي أضفى على الكون كل ما فيه من معنى، ويظن مع ذلك أنه "قد اهتدى" إلى ذلك المعنى فحسب: "الحق أن الناس قد أعطوا أنفسهم كل خيرهم وشرهم، والحق أنهم لم يتلقوه ولم يجدوه ولم يهبط إليهم من السماء."[4]

وهكذا تبين أن إرجاع القيم إلى الإنسان عند نيتشه لا يُعبر عن نزعة ذاتية أو صوفية، بل هو في واقع الأمر دعوة صريحة للإنسان كي يمارس فاعليته على أوسع نطاق ممكن. فلن يقف في وجه هذه الفاعلية شيء

1 مولودي عز الدين، "نيتشه: الحس النقدي أساس المعرفة المرِحة"، ص 18.

2 سماح عبد الحكيم مصطفى عمارة، "قيمة الشفقة في فلسفة نيتشه"، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 28، ج1، 2022، ص 493.

3 فؤاد زكريا، نيتشه، ط2، مؤسسة هنداوي، ص 55.

4 نفس المرجع. ص56.

إذا تبين أن العالم لا يحمل معنى ثابت، وأن في وسع الإنسان أن يُضفي عليه بمجهوده الخاص من المعاني ما يشاء، مثلما أضفى عليه من قبل معناه القديم دون وعي منه، ثم ثبّته وقدّسه. [1]

ولو أدرك الإنسان وعيه بأنه هو خالق هذا البناء الشامخ من القيم، لعمل على تحقيق هذه الغايات التي يريدها لنفسه تحقيقًا واقعيًا، ولازدادت ثقته بنفسه وبقدرته المبدعة. لكنه في واقع الأمر يُنكر ذلك، ويوهم نفسه أنه قد وجد هذه القيم فحسب، وأنها هناك مفروضة على الأشياء بالرغم منه. فإذا ما أحس بأنها في وجودها مستقلة عنه، فلن يحاول أن يُغيّر منها شيئًا، بل سيبقيها على حالها وسيقبل الأمور على ما هي عليه. [2]

ونيتشه قد أرجع القيم إلى الأرض، وإلى الإنسان، وإلى القوة الفعالة في الإنسان، أعني الحياة. وارتباط القيم بالحياة هو أوضح شاهد على نسبيتها، ذلك لأن الحياة مطالب متجددة، وهي لا تخضع لصيغ منطقية جامدة حتى يُقال إنها تثبت على اتجاه واحد، وإنما هي تلقائية في سيرها، تتخذ لنفسها من القيم ما تشاء، حتى يمكنها أن تعلو على ذاتها دومًا. [3]

وبالتالي، فالبشر لا يستخدمون الأخلاق إلا لتبرير أفعالهم. فالأصل هو الفعل، وما الأخلاق سوى التبرير والتسويغ. فالقيم ما هي إلا جزء من العملية الإبداعية للإنسان وحركيته. والحق أن الناس قد أعطوا أنفسهم كل خيرهم وشرهم، والحق أنهم لم يتلقوه ولم يجدوه، ومن ثم فإن بوسع الإنسان أن يُضفي أي معنى يشاء على الكون، بأي طريقة يراها. والأخلاق هي معايير صنعها الإنسان لهدف معين، في وسعه أن يُبدّلها. [4]

لهذا، يقول نيتشه: من يريد الخلق والإبداع في الخير أو الشر، لا بد أن يبدأ أولًا بالأفناء وإهدار القيم.[5]

---

1 نفس المرجع، ص58.

2 نفس المرجع، ص59.

3 عبد الوهاب المسيري، نيتشه: فيلسوف العلمانية، ص 13.

4 عبد الرحمن بدوي، نيتشه: خلاصة الفكر الأوروبي، مرجع سابق، ص 161.

5 شهيدة لعموري، "أخلاق السادة والعبيد"، مرجع سابق، ص 642.

ويستهدف نيتشه القضاء على الأخلاق التقليدية التي آمنت بها البشرية وقدّستها المسيحية. فلقد كان موقف نيتشه من كل الأحكام الأخلاقية السائدة هو موقف المتشكك الذي يرفض التسليم المطلق لهذه الأحكام. ويؤكد نيتشه بهذا الصدد: "لقد تميزت بالشك، ذلك أني كنت أكره التسليم بكل الأخلاق التي تمجّد على الأرض. إن فضولي وظنوني كان محكومًا عليها أن تتوقف عند السؤال عن أصل أفكارنا عن الخير والشر. وقد تعلمت منذ فترة مبكرة أن أفضل الأحكام اللاهوتية عن الأحكام الأخلاقية، وتوقفت عن البحث عن أصل الشر وراء العالم." [1]

كما يقول نيتشه: "ألم يبلغ بنا الأمر اليوم ضرورة العزم مرة أخرى على قلب القيم وتحويل أساسها بفضل استفاقة جديدة للذات وتعميق جديد للإنسان؟" وهنا يقصد نيتشه أنه لا بد من الرجوع إلى النظر في القيم التقليدية، ولا بد للإنسان أن ينهض من السُبات الذي هو فيه. [2]

لذلك، أراد نيتشه نزع ستارة الأخلاق التي تحجّب بها الإنسان، ليقول في هذا الغرض: "من المفيد جدًا بالنسبة لي، من يريد بلوغ الحكمة، أن يكون عقله قد انشغل بعض الوقت بصورة الإنسان الشرير والفاسد بشكل جذري. إنها مزيفة مثل تلك التي تقابلها، لكنها هيمنت خلال أحقاب كثيرة، وجذورها قد انغرست في عالمنا وفينا نحن." وهنا يُعبر نيتشه كذلك عن موقفه النقدي من الأخلاق التقليدية، وهو ما يرتبط بمفهومه الأساسي لقلب القيم، فيرى أن الأخلاق السائدة، خاصة أخلاق الرحمة والتواضع والتضحية، ليست نابعة من قوة داخلية، بل هي أخلاق عبيد نشأت من الحقد والضعف، واتخذت طابعًا مزيفًا من الحكمة والفضيلة لإخفاء الغرائز الحقيقية للإنسان، مثل السيطرة... وهنا يظهر مفهوم قلب القيم، الذي يدعو فيه نيتشه إلى إعادة تقييم هذه الأخلاق وقلب موازينها، بحيث تُستبدل القيم الزائفة التي تمجّد الضعف بقيم الحياة وإرادة القوة. [3]

1 نهلة الجمزاوي، فلسفة الأخلاق: مفهومها، تاريخها، تطورها، الأردن، ص 124.

2 مولودي عز الدين، "نيتشه: الحس النقدي أساس المعرفة المرِحة"، مرجع سابق، ص 18.

3 مولودي عز الدين، فلسفة القيم النقدية عند نيتشه: استكشاف الأتيقا وسؤال النقد الجذري، ط1، بيروت، 2022، ص 67.

فما عسى أن تكون هذه الأخلاق؟ إنها، بنظر نيتشه، جديرة بالإدانة جدارة كل ماضٍ وضيع بالإدانة أيضًا. إنها أخلاق منافية لأخلاق السادة والعظماء من البشرية. إنها نظرة أخلاق القطيع البشري الذي امتنع عليه تجاوز ذاته، والتسامي بعالمه إلى ما وراء الأخلاق. وربما ذلك ما جعل نيتشه يُعلن الحرب ضد أخلاق القطيع. [1]

وأول نتيجة استخلصها نيتشه هي أنه رأى أن هناك عدة أنواع من الأخلاق، ولكل نوع أو صنف طابعه الذي يميزه، وأن هذا الطابع الخاص إنما نشأ عن كون مصادر الأخلاق عديدة، وأن المعايير والقيم الأخلاقية يخلقها أناس مختلفون. ومن هنا، انتهى نيتشه إلى نظريته المشهورة في التفريق بين نوعين من الأخلاق: [2]

أخلاق السادة وأخلاق العبيد، بحيث أن السادة يُمثلون الأقلية الممتازة في الإنسانية، وأما المصدر الآخر، فرعاع الإنسانية وطبقاتها المنحطة، وهو أخلاق العبيد. وقد جاءت فكرته هذه بعد دراسة للنظم الأخلاقية، حيث تفيض أخلاق السادة بالقوة والثراء والعطاء، في حين تنبع أخلاق العبيد من الحقد والكراهية وحب الانتقام. [3]

حيث يُحدد نيتشه أخلاق السادة بكونها شعورًا بالامتلاء، والقوة، والسعادة، والتوتر الأقصى، والإحساس بالثراء القادر على العطاء والبذل. وإن الإنسان النبيل يساعد التعساء أيضًا، ليس بدافع الشفقة، ولكن بدافع القوة الفائضة. والرجل النبيل يمجّد ذاته باعتباره القوي، وباعتباره أيضًا يمارس القوة على ذاته، فيعرف كيف يتكلم، وكيف يصمت، وكيف يبتهج بكونه قاسيًا صارمًا مع نفسه، ويحترم كل قسوة وكل صرامة.

أما أخلاق العبيد، فيُصوّرهم بالمقهورين الذين لا يثقون بأنفسهم، ويعرض صفاتهم باحتقار شديد. إذ تعبر قيم العبيد عن الشك المتشائم اتجاه وضع الإنسان، وتوجّه العبد بنظرة مليئة بعدم الرضا تجاه سيده وكل ما يُمجّده من أفكار. ويحاول أن يُقنع نفسه دائمًا بأن ما يعيشه سيده من سعادة ليس سعادة حقيقية، بل سعادة مزيفة، ويُمجّد الشفقة، والمساعدة، والعطف، والرحمة، والتواضع، في مقابل تمجيد القوة والانتصار. [4]

---

1 عبد الرحمن بدوي، نيتشه: خلاصة الفكر الأوروبي، مرجع سابق، ص 171.

2 مجدي كامل، فريدريك نيتشه: شيطان الفلسفة الأكبر، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، 2011، ص 165.

3 شهيدة لعموري، "أخلاق السادة والعبيد"، مرجع نفسه، ص 645، 647.

4 مولودي عز الدين، فلسفة القيم النقدية عند نيتشه: استشكال الأتيقا والنقد الجذري، مرجع نفسه، ص 84.

المطلب الثاني: نقد نيتشه للأخلاق المسيحية

ينتقد نيتشه الأخلاق المسيحية من عدة جوانب، أهمها أن الدين المسيحي يروج لعدة مفاهيم مثل الضعف والتضحية، وهي مفاهيم لا تتناسب مع الأخلاق التي يدعو إليها نيتشه، حيث يؤكد أن المسيحية هي دين الشفقة وإنكار الحياة. وهذا ما نجده في قوله: "تُدعى المسيحية دين الشفقة والرحمة، ومع ذلك، فالشفقة تأثيرها الكئيب على الإنسان، إذ إنها تفقد قواه، فتسري فيه المعاناة كالوباء، وتؤدي أحياناً إلى افتقاد الحياة وكآبة الحياة بصورة جماعية. كما أنها تحبط مساعي قانون التطور أو الانتخاب الطبيعي، لأنها تدافع عن الحياة المحرومة الحقيرة، لصالح الأنواع العليلة التي تسعى للحفاظ على حياتها، وبذلك تُضفي على الحياة مظهراً كئيباً مريباً".

فمن المنظور النيتشوي، يُنظر إلى الرحمة باعتبارها إحدى القيم التي فرضتها الأخلاق المسيحية، والتي تعزز فكرة حماية الضعفاء. غير أن هذه القيم، عند نيتشه، تعيق تطور الفرد، حيث يرى أنه لا بد من تجاوز هذه القيم التقليدية لتحقيق الطريق نحو العظمة [1].

كما ينتقد نيتشه المسيحية لأنها جعلت من الشفقة والرحمة قيماً مركزية، بينما يرى أن هذه القيم تُعتبر ضعفاً وعدم قدرة على التأثير في العالم. فالمسيحية، بحسبه، جعلت من الشفقة فضيلة عليا، كما أنها تدعو إلى الخضوع، مما يُقيد إرادة الأفراد. وإن القيم التي تدعو إليها المسيحية تتعارض مع الغريزة الإنسانية. لهذا يقول نيتشه: "لقد تجرأ الناس على منح الشفقة اسم الفضيلة، بينما تُعتبر ضعفاً لدى كل أخلاق نبيلة. بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك، إذ جعلوا منها عين الفضيلة وأرضية وأساس كل الفضائل".[2]

ويعتقد نيتشه أن المسيحية تقوم بإدانة الغرائز البشرية الفطرية، مما يجعل الأفراد يشعرون بالذنب أو العار بسبب رغباتهم، كوسيلة للسيطرة على الأشخاص، مما يؤدي إلى كبت غرائزهم. وهذا ما نجده في قوله: "إن المسيحية تحتل غرائز الخاضعين والمضطهدين موقع الصدارة، وإن الطبقات الدنيا هي التي تبحث عن خلاصها فيها. هنا يُمارَس النقد الذاتي، وافتئاتات التخطئة، والتفتيش المُسلَّط على الضمير كمهمة شاغلة وكوسيلة لتزجية

1 صفاء عبد السلام جعفر، محاولات جديدة لقراءة فريديريك نيتشه، دار معرفة، الاسكندرية، 2010، ص340.

2 فريدريش نيتشه نقيض المسيح. ت ج ، علي مصباح، ط1، بغداد 2011، ص31.

الوقت ودرء الضجر. هنا يتم على الدوام شحذ جذور الأحاسيس الانفعالية تجاه كائن قد يُراد عن الله (عن طريق الصلاة)".[1]

ويحاجج قائلاً إن المسيحية تستهدف ترويض القلب في الإنسان، وهذه غلطة، فالحيوان المفترس له فخامة معينة يفقدها حين يُروَّض. والمجرمون الذين عاشرهم دوستويفسكي كانوا أفضل منه، لأنهم كانوا أكثر احتراماً لأنفسهم. وكان نيتشه يشمئز من الندم والوفاء الذين يدعوهم "حيواناً ترياً".[2]

كما يوجه نيتشه نقده للمسيحية باعتبارها أخلاق البؤس والشقاء، وهي لا تجلب إلا الألم للإنسان. وهذا كله ناتج عن مفهوم المسيحية للحياة، فهي تصوّرها في أبشع وأقصى الصور، لأنها تعتبر الحياة ألماً وعذاباً دائمين للإنسان. والحقيقة أن هذه النظرة السوداوية للحياة هي قاسم مشترك بين جميع الديانات، وليست خاصة بالمسيحية وحدها.[3]

فحسب نيتشه، إن المسيحية قد انحازت إلى كل ضعيف ومنحط وفاشل، وشكّلت من مناهضتها لغرائز التشبث بالحياة المفعمة مثالاً مفسداً ومسيئاً. ومن خلال ذلك، أساءت إلى صميم تلك الطبائع النفسية الأقوى، عبر تعليمها اعتبار القيم العليا المندفعة للنفس خطيئة وضلالات وغوايات. وهنا يؤكد أنها تتعارض مع غرائز الحياة القوية والمفعمة، كما أنها تعتبر القيم العليا، والنية الأصلية للإنسان – مثل الرغبة في القوة – قيماً شريرة يجب مقاومتها، بينما نيتشه يرى أن هذه القيم جزء أساسي من الطبيعة البشرية يجب أن تُقدَّر وتُشجَّع.[4]

1 نفس المرجع، ص52.

2 سليمة قايد، "النزعة العدمية عند نيتشه: حقيقتها، أسسها ومخاطرها على الإنسان المعاصر"، مجلة المدربين، العدد 14، المجلد 01، 2022، ص125.

3 فريدريك نيتشه، عدوّ المسيح، ترجمة جورج ميخائيل ديب، ط2، ص. 28.

4 نفس المرجع السابق، ص65.

فالمسيحية، في نظر نيتشه، تمثل ثورة العبيد ضد السادة، بحيث أن الضعفاء والمضطهدين يخلقون قيماً جديدة تعكس مصالحهم واحتياجاتهم. فالمسيحية عداوة حتى الموت ضد أسياد الأرض وجبابرتها وضد النبلاء، فهي بالضرورة أخلاق الكراهية والحقد والانتقام. ومن المؤكد أن العبيد يحملون مشاعر سلبية ضد السادة.[1]

وبالتالي، فالأخلاق المسيحية هي "أخلاق العبيد"، وإن الأصل في ذلك يعود إلى المنبع الرئيسي لها، والمتمثل في الشعب اليهودي، الذي يحمل حقداً دفيناً تجاه محاربيه. فهو لا يواجه أعداءه في ساحة القتال، بل يستخدم أساليب أخرى كإفساد أخلاقهم. ومن هنا، ينظر نيتشه إلى الأخلاق المسيحية، فكشفها عن حقيقتها، وما تنطوي عليه من مكر وخداع وزيف.[2]

وبالتالي، فالأخلاق المسيحية من المنظور النيتشوي تمثل انتصاراً للضعفاء والقطيع على الأقوياء والنبلاء.

ويصف نيتشه الانتصار الذي تحقق من خلال الصليب المسيحي بأنه بداية لثورة الضعفاء ضد القيم النبيلة للحياة، كالقوة والسمو. كما يرى في هذه الأخلاق نوعاً من الكراهية والعداوة ضد الحياة، أي رفضاً لقيم القوة والطموح والتفوق، واستبدالها بقيم الخضوع، والتواضع، والتضحية، وهي قيم يعتبرها نيتشه معادية للطبيعة البشرية القوية، وهذا ما نجده في قوله: "ولكن ما الذي تقوله عمَّ مثل أنبل منه؟ لنُسَلِّم بالوقائع: إن الشعب قد انتصر – أو "العبيد"، أو "الرعاع"، أو "القطيع"، أو ما شئت أن تسمي – وإذا كان هذا قد حصل من خلال اليهود، فليكن! لم يحدث أبداً أن كان لشعب ما مهمة أكبر في تاريخ العالم. انتهى أمر "الأسياد"، وانتصرت أخلاق الإنسان العامي. قد يمكن للمرء أن يسمي هذا النصر في ذات الوقت تسمُّماً في الدم (فهو خلط الأعراق في بعضها البعض)". [3]

1 عبد الغاني عليوة، "الديانة المسيحية بين التأصيل والنقد في فلسفة نيتشه"، جامعة سطيف، بدون تاريخ، ص،11.

2 فريدريتش نيتشه، في جنيالوجيا الأخلاق، ترجمة فتحي المسكيني، تونس: دار سيناترا – المركز الوطني للترجمة، سلسلة ديوان الفلسفة، 2010، ص. 57.

3 سامي شايب، الأخلاق والقيم عند نيتشه، ط1، تونس: دار سلام، 2021، ص. 66.

والثابت أن نيتشه كان يرفض قيم الدين المسيحي كما وردت في الأناجيل، وكان يدين فكرة اللاهوت المسيحي، والذي يراه ضرباً من الجنون والهذيان ورفضاً للحرية. كما ينتقد نيتشه المفاهيم المسيحية مثل: الخطيئة، الخلاص، النجاة، ويرى أن هذه المفاهيم تعبّر عن قيم الضعف والخضوع.

لذلك، يدعو إلى نموذج جديد من الإنسان الأعلى، يتجسد في الإنسان الحربي العنيف. ويقول: "ويجادل مفاهيمها التي يذكرها في كتبه مثل الأب الشيطان، المسيح، المصلوب، الخطيئة الأولى، الخلاص... فهي لا تعنيه إلا بقدر ما هي مدعّمة لتلك الفكرة وجالبة النصر للنموذج القادم من الإنسان الأعلى، وهذا النموذج يتجسد في الإنسان الحربي".[1]

ويعيب نيتشه على الأخلاق المسيحية أنها حطّمت كل فكرة عن تجاوز الإنسان لذاته، وأنها وضعته في راحة داخلية ورضى نفسي يُعد، بالنسبة للعظمة الإنسانية، أسوأ أنواع التنازل عن الحقوق. إذ لا وجود للعظمة إلا في الحرية التي يبني بها الإنسان مصيره من خلال الصراع والقلق، أي أن المسيحية تعيق الإنسان عن تحقيق إمكاناته الكاملة وتطوير نفسه، لأنها تشجّعه على الرضا بالقليل، والاكتفاء بالراحة الداخلية، والتخلي عن الطموح والرغبة.

بينما نيتشه يرى العكس تماماً: فالإنسان، حسبه، يجب أن يسعى لتحقيق أهدافه وطموحاته من خلال التحدي، الصراع، والقوة، فبهذه الطريقة يحقق عظمته الحقيقية ويصبح شخصاً أفضل.

وبالتالي، فالأخلاق المسيحية، حسب نيتشه، هي أخلاق تنفي الذات الإنسانية من خلال القيم الأخلاقية التي تدعو إليها. [2]

ولذلك، فنحن – بحسب نيتشه – نحتاج إلى تجاوز كل القيم المسيحية.

---

1 فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ط1، بيروت: دار الجيل، 1993، ص. 187.

2 وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة: مكتبة الأسرة، ص. 381.

أي رفض المسيحية المتداولة، والديمقراطية، والنفعية، والاشتراكية، والعودة إلى قيم النبلاء والارستقراطيين القديمة.

ويعتقد نيتشه أن لفظي "خير" و"سيئ" قد استخدما في أخلاق السادة. فلفظ "خير" يعني – بالنسبة للسادة مثل الأرستقراطيين، واليونانيين القدماء، والرومان – النبلاء، الأقوياء، أصحاب الشجاعة والكرامة. أما "الشر"، فكان يعني الضعفاء الذين يفتقرون لهذه الصفات.

ونيشته يريد استعادة هذه القيم النبيلة وتطبيقها في الحياة الحديثة. (12)

يقول نيتشه إنه ليس هناك إله، وإن الإيمان بالإله قد انقرض تقريبًا، وذلك ما يقصده عندما يقول: "لقد مات الإله". الصلاة –في نظره– سخف وباطل، والمسيحية، بما علّمه يسوع في الأصل، كانت سيئة، وأصبحت أسوأ على يد بولس وأولئك الذين جاؤوا بعده. لقد أكّدوا القيم الزائفة كالحب والشفقة والتعاطف، وبهذا أطاعت المسيحية القيم والمثل اليونانية القديمة التي أفسدت الإنسان الحديث.

الإنسان الحديث، في رأي نيتشه، يجب أن يكون روحًا حرة، يثبت وجوده، ويعتمد على نفسه. أما تصور المسيحية للخطيئة، بل وتصورها "للخاطئ"، فهو قائم على تقييم ديني يجعل الإنسان ضعيفًا وعاجزًا. فالقيم الدينية المسيحية، بعد "موت الإله"، فقدت معناها وفعاليتها. والصلاة، التي كانت تُعتبر عملًا مقدسًا، أصبحت عديمة القيمة، بل تعبيرًا عن ضعف الإنسان وعجزه عن مواجهة الحياة.

وقد بدأت هذه القيم تنتمي إلى ما يُسمى "أخلاق العبيد"، وهي أخلاق تقوم على الشفقة وتمجيد الضعف. في المقابل، هناك "أخلاق السادة" التي تمجّد القوة والإرادة. وبعد أن زال الإيمان بالله، لم تعد تلك الأخلاق تملك أي أساس متين. لذا، أصبح الإنسان المعاصر مطالبًا بإعادة خلق القيم من ذاته، عبر "إرادة القوة"، لا بالاعتماد على أوهام خارجية. [1]

ومن منظور نيتشه، فالمسيحية منحلة، ومنفعمة بالعناصر المفسدة. قوتها تكمن في عنفها، وهي تمثل "ثورة العُوّاجين" (الضعفاء والعبيد). بدأت هذه الثورة باليهود، وانتقلت إلى المسيحية عبر شخصية مقدسة وسريعة التأثير،

1 وليم كلي رايت، نفس المرجع ، ص ص 377–378 .

مثل القديس بولس، الذي لم تكن لديه قدوة حقيقية. فالعهد الجديد –في نظر نيتشه– هو إنجيل "الإنسان من النوع الوضيع". ويعتبر المسيحية أكبر كذبة مدمرة ومغرية في التاريخ. [1]

كما يهاجم نيتشه المسيحية بقوله إنها تستهدف الأقوياء، فتقوّض أرواحهم، وتستغل لحظات ضعفهم، وتحول اعتزازهم بأنفسهم وإحساسهم بالأمان إلى قلق وانزعاج الضمير. ويجادل قائلًا إن "الخطأ في الحيوان المفترس" هو فقدانه لفخامته حين يُروّض. ووفقًا لرأيه، فالمسيحية تعتمد على كبح العواطف والانفعالات القوية مثل الغضب والقوة، وهي كلها قوى يراها ضرورية للحياة والنمو. فالمسيحية، من وجهة نظره، تحاول ترويض هذه القوى أو قمعها باسم الأخلاق، لكنها بذلك تُضعف الإنسان وتحرمه من طاقته الحيوانية. [2]

كما يعبر نيتشه عن رفضه الجذري للتصور المسيحي التقليدي للإله والإخلاص له. فهو يرى أن الإله الذي تتحدث عنه الكنيسة، والذي يُطلب الإخلاص له في العالم الآخر، ليس سوى وهم خيالي من صنع البشر. إنه يعبر عن ضعف الإنسان وهروبه من الواقع. ويسخر نيتشه من التصورات "الميتافيزيقية" التي تبنتها الكنيسة، وخاصة فكرة "ملكوت الله" بوصفه شيئًا خارج هذا العالم، حيث يرى أن هذا المفهوم ليس سوى شكل من أشكال نفي الحياة وقيمتها الأرضية، ويؤكد نيتشه أن ما نحتاجه ليس "إيمانًا جديدًا" بمعنى عقيدة دينية أخرى، بل سلوكًا جديدًا يعبر عن نظرة مختلفة للحياة، تقوم على القوة والحرية والتحرر من قيود الماورائيات. فـ"الإيمان الجديد"، حسب نيتشه، هو أسلوب في العيش يعكس إرادة الحياة، لا التعلّق بالوهم والإخلاص الأبدي. وهذا ما يتجلى في قوله: "ليس هناك ما هو أناني أكثر من المسيحية، وليس هناك ما هو أقل مسيحية من فظاظة الكنيسة ".أما الله الذي تتحدث عنه الكنيسة، فهو في نظر نيتشه، ليس سوى شخصية مفترضة، لا تختلف عن شخص آخر في عالمٍ خيالي ثالث.[3]

1 برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث: الفلسفة الحديثة، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطي، القاهرة: دار المعارف، ص. 400.

2 نفس المرجع، ص 401.

3 فريدريك نيتشه، عدوّ المسيح، ترجمة جورج ميخائيل ديب، ط2، ص 99.

وكان رفض نيتشه للمسيحية يعود في الحقيقة إلى طابعها الرعاعي، ومن جراء القيم الشعبية التي تسود فيها، حيث أشاعت قيم المرضى، وثارت ضد قيم الصحة والغبطة والطاقة والحيوية. وكان حقد نيتشه على المسيحية لارتباطها باليهودية، فيقول في كتابه العلم المرح: "إن الخطيئة كما تنظر إليها المسيحية الآن، وفي كل مكان وزمان حكمت فيه لبعض الوقت، هي شعور يهودي، من اختراع اليهود. من وجهة نظر هذا المخطط المضمر، سعت الأخلاق المسيحية في الواقع إلى تهويد العالم". بمعنى أن رفضه جاء نتيجة تعزيم المسيحية لقيم الضعفاء والمرضى، معتبراً إياها ثورة ضد القيم النبيلة كالفَرَح والصحة، واعتبر الخطيئة اختراعاً هدفه قمع إرادة القوة، ووصف الأخلاق المسيحية بأنها محاولة فرض قيم تخدم الضعفاء وتقوّض قيم الأقوياء والأصحاء. [1]

وكان الاعتقاد النيتشوي أن المسيحية مسيرة انحطاط، وهي أيضاً أقوى ظاهرة في تضليل الإنسان الأوروبي. فالانحطاط باعتباره مرضاً، هو نتاج قيم مريضة تحمل في ذاتها بذور فنائها، وهو يبدو في جوهره انتصاراً لقيم مريضة على قيم سليمة، أي انتصاراً للضعفاء على الأقوياء. ولهذا كان يعتقد نيتشه أن الحضارة الغربية الحالية متجهة وبسرعة إلى نهايتها، لأن الناس فيها بدأوا يشعرون بأن كل شيء يسير نحو الانحطاط. بالتالي، فحسب نيتشه، فإن المسيحية تمثل مسار الانحطاط، لأنها تروج لقيم مريضة نابعة من أخلاق العبيد، التي تحول ضعف الإنسان إلى فضيلة. لذلك يرى أن الحضارة الغربية تتجه نحو نهايتها لأنها غرقت في العدمية بعد تخليها عن القيم الأصيلة، وأصبح الناس يشعرون أن كل شيء يسير نحو التدهور، وهذا التدهور ليس سوى نتيجة لقيم تحمل في طياتها الفناء. [2]

فلقد تمكنت المسيحية – في نظر نيتشه – من ترويض وتدجين ذلك الإنسان (الوحش الأشقر)، ذلك المخلوق الذي كان ثمرة القيم العليا الأرستقراطية النبيلة التي يتجلى بها الأقوياء، والذي يقصد به الألمان المحدثين، بل كل من قدماء العرب، واليابانيين، والإغريق، والرومان... هؤلاء الذين يصوّرهم أعداؤهم بأنهم برابرة، يغيرون ويسلبون ويغتصبون، أصبحوا مسلوبي الإرادة والقوة في ظل القيم المسيحية. وهنا يشير نيتشه إلى أن المسيحية قامت بقتل الإنسان "الوحش الأشقر"، الذي كان يجسد القيم الأرستقراطية العليا لدى الشعوب القوية القديمة مثل العرب...

1 أ. عبد الغاني عليوة، الديانة المسيحية بين التأصيل والنقد في فلسفة نيتشه، جامعة سطيف، ص 9.

2 نفس المرجع، ص 10.

هؤلاء كانوا – في نظر خصومهم – برابرة عنيفين، لكنهم في الحقيقة كانوا نماذج للقوة والإرادة والأخلاق النبيلة. وبظهور المسيحية، تحوّل هذا الإنسان إلى كائن خاضع لقيم الضعف، مما سلبه إرادته الحقيقية، ونيتشه ينتقد هذا التحول لأنه يرى أن المسيحية قتلت الإنسان السيد. [1]

لقد كانت المسيحية – اليوم – البلية المشؤومة الأكبر ضد البشرية. فهي تعارض كل تكوين عقلي سليم، وترى أن العقل السقيم وحده هو العقل المسيحي، وتلعن الروح التي تتمتع بالصحة، لأن المرض يعبر عن جوهرها... ورجل الدين يرى أن الخير هو ما يجعل المرء مريضاً، وأن كل ما ينتج عن الوفرة والغزارة والقوة شر مستطير. [2]

كما ينتقد نيتشه – على نحو خاص – معاداة المسيحية للجسم والقوى والمرح والحرية. فلقد نشأت المسيحية من الضعف والإخفاق والاستياء، وخلقت مساواة زائفة، وأصابت طاقتنا الحيوية بالشلل تحت شعار القداسة المزيفة. إن قوانين الحياة أسمى من المثالية، فالمؤمن متواكل، لا يستطيع أن يضع الغايات بنفسه، ولا يشعر بالانتماء إلى ذاته، وتتمثل غريزته في أعلى أنواع إنكار الذات... فالمسيحية تهدف إلى تسميم الحياة، وإنكارها، واحتقار الجسد، والافتراء على الإنسانية، وفرض "الخطيئة" كمفهوم يقسو به المرء على ذاته. فالمسيحية – حسب نيتشه – تعادي كل ما يتعلق بالقوة والحياة والفرح، لأنها نشأت من منبع الضعف والفشل، لذلك خلقت نمطاً مضاداً للحياة، لأنها تقوم على نكران الذات ونفي الإرادة تحت شعار القداسة، وهذا ما اعتبره نيتشه نوعاً من أنواع الانحطاط. [3]

وكان رفض نيتشه للمسيحية يعود في الحقيقة إلى طابعها الرعاعي، ومن جراء القيم الشعبية التي تسود فيها، حيث أشاعت قيم المرضى، وثارت ضد قيم الصحة والغبطة والطاقة والحيوية. وكان حقد نيتشه على المسيحية لارتباطها باليهودية، فيقول في كتابه العلم المرح: "إن الخطيئة كما تنظر إليها المسيحية الآن، وفي كل مكان وزمان حكمت فيه لبعض الوقت، هي شعور يهودي، من اختراع اليهود. من وجهة نظر هذا المخطط المضمر، سعت الأخلاق المسيحية في الواقع إلى تهويد العالم". بمعنى أن رفضه جاء نتيجة تعزيم المسيحية لقيم

1 نفس المرجع، ص 12.

2 نفس المرجع، ص 14.

3 نفس المرجع، ص 15.

الضعفاء والمرضى، معتبراً إياها ثورة ضد القيم النبيلة كالفَرَح والصحة، واعتبر الخطيئة اختراعاً هدفه قمع إرادة القوة، ووصف الأخلاق المسيحية بأنها محاولة فرض قيم تخدم الضعفاء وتقوّض قيم الأقوياء والأصحاء.[1]

وكان الاعتقاد النيتشوي أن المسيحية مسيرة انحطاط، وهي أيضاً أقوى ظاهرة في تضليل الإنسان الأوروبي. فالانحطاط باعتباره مرضاً، هو نتاج قيم مريضة تحمل في ذاتها بذور فنائها، وهو يبدو في جوهره انتصاراً لقيم مريضة على قيم سليمة، أي انتصاراً للضعفاء على الأقوياء. ولهذا كان يعتقد نيتشه أن الحضارة الغربية الحالية متجهة وبسرعة إلى نهايتها، لأن الناس فيها بدأوا يشعرون بأن كل شيء يسير نحو الانحطاط. بالتالي، فحسب نيتشه، فإن المسيحية تمثل مسار الانحطاط، لأنها تروج لقيم مريضة نابعة من أخلاق العبيد، التي تحول ضعف الإنسان إلى فضيلة. لذلك يرى أن الحضارة الغربية تتجه نحو نهايتها لأنها غرقت في العدمية بعد تخليها عن القيم الأصيلة، وأصبح الناس يشعرون أن كل شيء يسير نحو التدهور، وهذا التدهور ليس سوى نتيجة لقيم تحمل في طياتها الفناء. [2]

فلقد تمكنت المسيحية – في نظر نيتشه – من ترويض وتدجين ذلك الإنسان (الوحش الأشقر)، ذلك المخلوق الذي كان ثمرة القيم العليا الأرستقراطية النبيلة التي يتجلى بها الأقوياء، والذي يقصد به الألمان المحدثين، بل كل من قدماء العرب، واليابانيين، والإغريق، والرومان... هؤلاء الذين يصوّرهم أعداؤهم بأنهم برابرة، يغيرون ويسلبون ويغتصبون، أصبحوا مسلوبي الإرادة والقوة في ظل القيم المسيحية. وهنا يشير نيتشه إلى أن المسيحية قامت بقتل الإنسان "الوحش الأشقر"، الذي كان يجسد القيم الأرستقراطية العليا لدى الشعوب القوية القديمة مثل العرب... هؤلاء كانوا – في نظر خصومهم – برابرة عنيفين، لكنهم في الحقيقة كانوا نماذج للقوة والإرادة والأخلاق النبيلة. وبظهور المسيحية، تحوّل هذا الإنسان إلى كائن خاضع لقيم الضعف، مما سلبه إرادته الحقيقية، ونيتشه ينتقد هذا التحول لأنه يرى أن المسيحية قتلت الإنسان السيد. [3]

---

1 أ. عبد الغاني عليوة، الديانة المسيحية بين التأصيل والنقد في فلسفة نيتشه، جامعة سطيف، ص 9.

2 نفس المرجع، ص 10.

3 نفس المرجع، ص 12.

لقد كانت المسيحية – اليوم – البلية المشؤومة الأكبر ضد البشرية. فهي تعارض كل تكوين عقلي سليم، وترى أن العقل السقيم وحده هو العقل المسيحي، وتلعن الروح التي تتمتع بالصحة، لأن المرض يعبر عن جوهرها... ورجل الدين يرى أن الخير هو ما يجعل المرء مريضاً، وأن كل ما ينتج عن الوفرة والغزارة والقوة شر مستطير.[1] كما ينتقد نيتشه – على نحو خاص – معاداة المسيحية للجسم والقوى والمرح والحرية. فلقد نشأت المسيحية من الضعف والإخفاق والاستياء، وخلقت مساواة زائفة، وأصابت طاقتنا الحيوية بالشلل تحت شعار القداسة المزيفة. إن قوانين الحياة أسمى من المثالية، فالمؤمن متواكل، لا يستطيع أن يضع الغايات بنفسه، ولا يشعر بالانتماء إلى ذاته، وتتمثل غريزته في أعلى أنواع إنكار الذات... فالمسيحية تهدف إلى تسميم الحياة، وإنكارها، واحتقار الجسد، والافتراء على الإنسانية، وفرض "الخطيئة" كمفهوم يقسو به المرء على ذاته. فالمسيحية – حسب نيتشه – تعادي كل ما يتعلق بالقوة والحياة والفرح، لأنها نشأت من منبع الضعف والفشل، لذلك خلقت نمطاً مضاداً للحياة، لأنها تقوم على نكران الذات ونفي الإرادة تحت شعار القداسة، وهذا ما اعتبره نيتشه نوعاً من أنواع الانحطاط. [2]

1 نفس المرجع، ص 14.

2 نفس المرجع، ص 15.

الخلاصة

يتضح من خلال هذا الفصل أن نيتشه لم يأتِ بمشروعه الفلسفي حول القيم من فراغ، بل جاء كردّة فعل على إرث فلسفي وأخلاقي عميق، دفعه إلى إعادة صياغة مفهوم "القيمة" نفسه، حيث لم يعد يعتبرها جوهرًا ثابتًا أو مبدأً أخلاقيًا مطلقًا، بل وظيفة حيوية تُقاس بمدى خدمتها للحياة.

كما يتبيّن أن موقفه من القيم لم ينبثق هو الآخر من فراغ، بل جاء نتيجة تأثره العميق بكل من كانط وشوبنهاور، سواء عبر التفاعل النقدي أو التبنّي الجزئي لبعض المفاهيم. فقد مثّل كانط نقطة انطلاق لنيتشه من خلال الأسس العقلانية للأخلاق، في حين شكّل شوبنهاور مرآة سلبية عكست له مفاهيم الإرادة والتشاؤم، التي سيقلبها نيتشه لاحقًا إلى "إرادة القوة".

هذا إلى جانب نقده العنيف للأخلاق المسيحية، التي وصفها بأخلاق الشفقة، باعتبارها قيمًا تُضعف الإنسان وتكبّله.

وعليه، فإن مشروع نيتشه الفلسفي يسعى إلى قلب منظومة القيم السائدة واستبدالها بأخرى جديدة تُعلي من شأن الحياة وقوة الإرادة.

وفي ظلّ انهيار القيم وسقوط الأقنعة عن الأخلاق، يظل السؤال الجوهري مطروحًا: هل يمكن للإنسان أن يتحوّل إلى خالقٍ للقيم، بدلًا من أن يكون عبدًا لها؟

الفصل الثاني: بناء الذات في عالم وبلا قيم تقليدية

المبحث الاول: القيم الجديدة في فلسفة نيتشه

المطلب الأول: ارادة القوة

المطلب الثاني: اخلاق السادة

المبحث الثاني: استراتيجيات القيم الفردية لـ نيتشه

المطلب الأول: الانسان الاعلى

المطلب الثاني: الخلود الابدي

تمهيد:

أحدث نيتشه قطيعة حاسمة مع الموروث الأخلاقي والديني–الأخلاقي، من خلال رؤيته النقدية للأخلاق والقيم السائدة، حيث لم يعد الإنسان قادرًا على الاعتماد على هذه القيم الثابتة والمعايير الجاهزة التي توجّه حياته.

وفي هذا السياق، تبرز الحاجة إلى إعادة بناء الذات في عالم بلا مرجعيات تقليدية، بعد انهيار العالم الذي كانت تسوده المرجعيات الكبرى، وتفككت فيه القيم المطلقة.

وبالتالي، لم يعد بالإمكان الوثوق بالقيم الموروثة كما كان في السابق، بل أصبح من الضروري أن يعيد الإنسان تشكيل ذاته وفق أسس جديدة، نابعة من الداخل، ومن الإرادة الحية للحياة، ومن القوة الكامنة في الفرد باعتبارها قوة خلاقة تصوغ معناها الخاص.

ومن هذا المنبر، طرح نيتشه قيمًا جديدة تعبّر عن قوة الحياة، وتحرّر الإنسان من الأوهام السائدة.

المبحث الاول: القيم الجديدة في فلسفة نيتشه

المطلب الأول: إرادة القوة:

من أهم القيم الجديدة التي نادى بها نيتشه هي إرادة القوة، وهي المحرك الأساسي للإنسان، والتي تحدد قيمه وأفعاله. ويؤمن فكر نيتشه بالقوة في مختلف صورها، سواء كانت عسكرية أو اقتصادية أو جسدية أو سياسية، ولكن القوة الأساسية التي يرتكز عليها الإنسان هي القوة، لكي يؤسس القيم التي يتبعها في حياته، التي يسميها نيتشه في فكره "إعادة تقييم القيم"، ليكون للإنسان قيم بنماذج جديدة تختلف تمامًا عن القيم التي نتعلمها من نظام تعليمي أو الأديان...

حيث اتخذ نيتشه من إرادة القوة مبدأ لسن قيم جديدة. فبعد أن هدم بمطرقته عالم القيم التقليدي، شاد عالم التقويم الجديد، ووفقًا لمعيار الحياة التي هي في النهاية (إرادة القوة). فإرادة القوة هي المصدر الضروري لكل القيم الممكنة، وحتى القيم النافية للحياة. أما نيتشه، فهو يريد أن يقول "نعم" جديدة توجب هذه الحياة وتؤكد على قيمها.[1]

وهكذا، يضع نيتشه شِرعة القيم الجديدة، فيقول: "ما الخير؟ كل ما يعلو الإنسان بشعور بالقوة، وإرادة القوة، والقوة نفسها. ما الشر؟ كل ما يصدر عن الضعف... ما السعادة؟ الشعور بأن القوى تنمو وتزيد، وبأن مقاومة ما قد قُضي عليها. لا رضا، بل قوة أكثر فأكثر، لا سلام مطلقًا، بل حرب، لا فضيلة، بل مهارة الضعفاء". ومعنى هذا كله أن نيتشه يرى أن الخير هو تعزيز القوة والإرادة، والشر هو الضعف، والسعادة هي نمو القوة والتغلب على تحديات الحياة. حرب وليس سلامًا، وهنا يطرح رؤية جديدة للقيم.[2]

إذا كانت إرادة القوة هي مقياس القيم في الحياة، فذلك لأن القيمة –حسب تعريف نيتشه– لها أكبر مقدار من القوة يستطيع الإنسان تحصيله والاستيلاء عليه. والأمر الهام ليس هو كمية القوة، بل كيفيتها.[3]

---

1 صفاء عبد السلام، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، دار المعرفة، 1999، ص

2 عبد الرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي، ط5، الكويت، 1975، ص 215.

3 صفاء عبد السلام، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، دار المعرفة، ص 284.

فمن وجهة نظر نيتشه، إن حفنة من القوة خير من كيس من الحق، وإن الضعفاء الذين يسمّون عدم الأمانة خيانةً وعارًا، والقوة ظلمًا، يعبرون بذلك عن عجزهم وضعفهم وهوانهم. وإن من يريد الحياة يجب أن يسمح لرغباته بالانطلاق إلى أبعد مدى. أما الأمانة والعدالة والوفاء، فليست من أخلاق الرجال والأبطال، وإنما من أخلاق العبيد.[1]

ومن ذلك تبيّن أن كل التقويمات عند نيتشه نتائج لإرادة القوة. ذلك أن المقياس الموضوعي للقيمة هو كمية القوة التي تزيد من قيمة الحياة وتعلو بها. فالقيم هي أعظم كمية من القوة بوسع الإنسان أن يحققها، وليس النوع الإنساني سوى وسيلة تحقق الغاية التي طالما ألحّ عليها نيتشه، وهي الإنسان الأعلى. أراد نيتشه أن يُحلّ تحقيق الحياة محل الأخلاقية، ولذلك ندد باستمرار بأخلاق القطيع وتقويمها، فلم يسمح أبدًا بسيطرة الأغلبية المتوسطة على الأقوياء ذوي الأرواح الحرة. ومن هنا يرى نيتشه أن القيم ليست مطلقة أو ثابتة، بل تنبع من إرادة القوة، أي من الطاقة التي تدفع الإنسان نحو التفوق والخلق والتجاوز. فالقيمة الحقيقية عنده تُقاس بمدى ما تمنحه للإنسان من قدرة على التوسع والنمو، وليست مرتبطة بمعايير الخير والشر التقليدية. لذلك، ينتقد نيتشه الأخلاق السائدة، خاصة المسيحية، لأنها تمجد الضعف والتواضع والخضوع، وهي ما يسميه "أخلاق العبيد"، في مقابل "أخلاق السادة" التي تتميز بالقوة والعظمة والإبداع. ومن هنا تصبح إعادة تقييم القيم ضرورية، لأن القيم القديمة لم تعد تخدم تطور الإنسان، بل تكبحه.[2]

فالقوة إذن، هي الفضيلة الأساسية في رأي نيتشه، والضعف في رأيه هو النقيصة الوحيدة، وأن الحكم الفصل في جميع الخلافات ومصائر الأمور هو القوة، لا العدالة.[3]

1 غصنة حمد متعب العامري، "أخلاق القوة بين المفهوم الإسلامي والغربي: دراسة تحليلية مقارنة"، مجلة الإمارات، العدد 41، الإمارات العربية المتحدة، 2021، ص 24.

2 صفاء عبد السلام، مرجع سابق، ص 285.

3غصنة حمد متعب العامري، نفس المرجع، ص 24.

لهذا يرفض نيتشه الأخلاق السائدة التي تقوم على الرحمة والشفقة، مؤكدًا بذلك أن إرادة إنسانية تحرّك الحياة، وهي أساس الحياة. إذ إن جوهر الوجود كله هو الإرادة، التي تدفع الإنسان دائمًا إلى الأمام، وتخلق له في كل آنٍ رغبات جديدة، لأنه لا حياة غير هذه الحياة، ولا وجود غير هذا الوجود.[1]

فالقوة إذن، هي الفضيلة الأساسية في رأي نيتشه، والضعف في رأيه هو النقيصة الوحيدة، وأن الحكم الفصل في جميع الخلافات ومصائر الأمور هو القوة، لا العدالة.[2]

وقد أكد نيتشه بأن ما يريده الإنسان وكل حيّ، هو زيادة في القوة. ولقد فُسرت هذه الزيادة في القوة تفسيرًا بيولوجيًا، على أنها السعي لخلق صنف جديد من البشر: صنف الإنسان المتفوق. والواقع أن نيتشه كان يريد من إرادة القوة قلب لوح القيم، وتحويل كل القيم القديمة إلى قيم جديدة، وإزالة "أخلاق القطيع" من التافهين والضعفاء، وإقامة "أخلاق الأسياد" للانطلاق نحو آفاق الحياة البريئة.[3]

يقول نيتشه: "... لقد تيقنت من وجود إرادة القوة في كل حي، ورأيت الخاضعين أنفسهم يطمحون إلى السيادة، لأن في إرادة الخاضع مبدأ سيادة القوي على الضعيف... وتلك اللذة الوحيدة الباقية لها، فلا نتخلى عنها... إن الحياة بأسرها نضال... فويلٌ لكل حيّ يريد أن يعيش دون نضال". وهنا يتحدث نيتشه عن مفهوم مركزي في فلسفته، وهي "إرادة القوة"، حيث يرى أن كل كائن حي يسعى بطبيعته إلى التفوق والسيطرة، وليس فقط إلى البقاء. وهذا الصراع المستمر بين القوى، هو ما يشكل جوهر الحياة، حيث لا يوجد حيّ يريد أن يعيش دون نضال. في هذا السياق، يرفض نيتشه الأخلاق التقليدية التي تمجد الضعف والتواضع، ويؤكد أن القوة هي المبدأ

1شهيدة لعموري، "أخلاق العبيد وأخلاق السادة في فلسفة نيتشه"، مجلة علوم اجتماعية وإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 02، سنة 2023، ص 644.

2 غصنة حمد متعب العامري، مرجع سابق، ص 24.

3جورج زيناتي، رحلات داخل الفلسفة، ط1، دار المنتخب العربي، ص 69.

الأساسي الذي يحكم العالم، وأن "إرادة القوة" ليست مجرد رغبة في الهيمنة، بل هي دافع داخلي يدفع الإنسان إلى الإبداع والتطور وتجاوز ذاته. بهذا المعنى، فإن الحياة ليست مجرد وجود، بل هي حركة مستمرة نحو التفوق.[1]

وهكذا، فإن إرادة القوة عند نيتشه لا تعني السعي إلى السلطة أو السيطرة بالمعنى التقليدي، بل تعني القدرة على تجاوز الذات، وخلق القيم، والانفتاح على آفاق جديدة من الوجود. إنها ليست إرادة للسلطة، بل إرادة للإبداع والتفوق، وهي جوهر الحياة ومعناها الأعمق. فالحياة التي تخلو من هذه الإرادة تتحول إلى خضوع وخمول، وهذا ما يرفضه نيتشه بشدة، لأنه يعارض كل ما يحول دون انطلاق الحياة وتفجرها.[2]

ولعل هذا المفهوم يجعل نيتشه من أبرز فلاسفة "الحياة"، إذ يرى أن الوجود لا يقوم على العقل وحده، بل على الإرادة الغريزية القوية، التي تدفع الإنسان إلى المغامرة والتجربة ورفض التقاليد والامتثال. فبدلًا من أن يسير الإنسان وفق القيم المفروضة عليه من الخارج، عليه أن يصنع قيمه بنفسه، فيعيش بصدق مع ذاته، ويسعى لتحقيق ذاته عبر القوة والخلق.[3]

ومن ثم، فإن إرادة القوة هي التي تفتح الباب أمام ولادة "الإنسان الأعلى"، ذلك الكا الذي يتمتع بالقدرة على تجاوز الإنسان العادي، ويتحرر من كل القيود الأخلاقية والدينية التي تعيق تطوره. فالإنسان الأعلى عند نيتشه هو ذلك الذي يملك الشجاعة لقول "نعم" للحياة بكل تناقضاتها، ويعيد بناء القيم على أساس القوة والتفوق، بدلًا من الخضوع والضعف.[4]

---

1 صفاء عبد السلام، مرجع سابق، ص 278.

2 صفاء عبد السلام، مرجع سابق، ص 283.

3 نفس المرجع، ص 284..

4 عبد الرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي، مرجع سابق، ص 206.

وبهذا، تتحول الفلسفة عند نيتشه إلى مشروع لتحرير الإنسان، لا من خلال العقلانية أو الأخلاق، بل من خلال إعادة الاتصال بجذور الحياة وقواها الأساسية. فالقيم ليست حقائق ثابتة، بل هي تعبير عن مواقف الحياة المختلفة، ويجب أن تُعاد صياغتها بما يتوافق مع إرادة القوة التي تسكن في أعماق الكائن الحي.[1]

إن إرادة القوة تُعدّ عند نيتشه المبدأ الكامن وراء كل تطور وكل إبداع في التاريخ الإنساني. فالحضارات، والفنون، والأفكار، وحتى الأديان، لم تكن سوى تعبيرات مختلفة عن هذه الإرادة في التحقق والتجلي. فكل من يسعى إلى البقاء والتفوق، إنما يفعل ذلك مدفوعًا بهذه القوة الدافعة التي تسكن أعماقه، حتى وإن لم يكن واعيًا بها تمامًا.[2]

ولذلك، فإن نيتشه يرى أن من واجب الفلسفة أن تُحرر الإنسان من الأوهام التي كبّلته لقرون طويلة، وعلى رأسها أوهام الأخلاق التقليدية والدين، التي كانت تُمجد الضعف، وتدعو إلى التواضع والزهد، في حين أن الحياة في جوهرها إرادة تفوق وقوة ونمو.[3]

ومن هنا، فإن فلسفة نيتشه تُشكل قطيعة مع الفلسفات الأخلاقية السابقة التي نظرت إلى الإنسان من زاوية الخير والشر، بل تدعو إلى تجاوز هذه الثنائية لصالح مبدأ القوة والتفوق، حيث تصبح القيم أخلاقًا "جمالية" تُحتفى بالحياة وقوتها، بدلًا من أخلاق "عبودية" تمجّد الخضوع والانكسار.[4]

1 نبيل عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 66.

2 فؤاد زكريا، نيتشه، مرجع سابق، ص 93.

3 آية مصطفى، "أصالة فلسفة نيتشه"، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 27، ج1، سنة 2021، ص 107.

4 عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 218.

ويُصبح الإنسان الأعلى، في ضوء هذا التصور، ذلك الكائن الذي يُجسد إرادة القوة في أبهى صورها، فيُبدع القيم، ويعيش وفق قوانينه الخاصة، غير خاضع لأي سلطة خارجية، دينية كانت أو اجتماعية. إنه سيد نفسه، ويمضي في درب التفوق دون أن ينتظر اعترافًا من أحد.[1]

إن إرادة القوة عند نيتشه ليست فقط مبدأ فلسفيًّا، بل هي أيضًا موقف من الحياة، ودعوة إلى إعادة بناء الذات والعالم على أساس الشجاعة والإبداع، بدلًا من التبعية والانقياد. إنها احتفال بالحياة في أعمق معانيها، ورفض لكل ما يُعيق انطلاقها ونموها وتفوقها.[2]

ولعلّ أبرز تجلٍ لإرادة القوة يظهر في رفض نيتشه المطلق للثنائيات التقليدية التي حكمت الفكر الفلسفي والأخلاقي، مثل ثنائية الخير والشر، الحقيقة والوهم، الروح والجسد. فهو يعتبر أن هذه الثنائيات ليست سوى "إسقاطات" نابعة من ضعف الإنسان وعجزه عن تقبّل الحياة كما هي، بكل تناقضاتها وقسوتها وجمالها.[3]

ومن هنا، فإن إرادة القوة لا تسعى إلى خلق عالم مثالي أو ميتافيزيقي، بل إلى إعادة تقييم القيم انطلاقًا من الحياة ذاتها، من التجربة، ومن التوتر الخلّاق بين القوة والضعف، بين السمو والانحطاط. إنها فلسفة التجاوز الدائم، والانتقال من حالة إلى أخرى أرقى، دون توقف أو رضا نهائي.[4]

ويُعبّر نيتشه عن هذه الفكرة في مفهومه لـ "العود الأبدي"، حيث يرى أن إرادة القوة لا تقبل بفكرة الغاية أو النهاية، بل تكرّس الحياة بوصفها حركة أزلية، دائمة الدوران والتكرار، مما يستدعي قبول العالم بكل ما فيه، وتحمّل المسؤولية الكاملة عن كل لحظة نعيشها. [5]

---

1 نفس المرجع، ص 226.

2 آية مصطفى محمد غريب، مرجع سابق، ص 107.

3 عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 218.

4نفس المرجع، ص 226.

5نفس المرجع، ص 229.

وبذلك، تُصبح إرادة القوة دعوة إلى أن يحيا الإنسان حياته وكأنه سيعيشها إلى الأبد، فيُبدع قيمه، ويمنح لحياته معناها الخاص، دون انتظار تبرير من خارج ذاته. فالوجود لا يحمل معنى سابقًا، بل المعنى يُبدَعه الأقوياء من خلال فعلهم الخلّاق.[1]

وهكذا، فإن فلسفة نيتشه، من خلال مفهوم إرادة القوة، تُؤسس لرؤية جديدة للإنسان والعالم، رؤية تُعلي من شأن القوة، والإرادة، والخلق، والتفوق، وترفض كل أشكال النكوص والجمود والانقياد، لتفتح أفقًا جديدًا أمام الذات الباحثة عن الحرية والمعنى.[2]

كما يرى نيتشه، فإن القيم ليست معطًى ثابتًا أو حقيقة موضوعية، بل هي نتاج إرادة القوة التي تُعبّر عن نمطٍ معيّنٍ من الحياة. فعندما تكون إرادة القوة في حالة ضعف أو انحلال، تسود العدمية السلبية، حيث تنهار القيم التقليدية. أمّا في حالة القوة، فتسود العدمية الفاعلة، أي القدرة على تجاوز القيم المنهارة وخلق قيم جديدة ،وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ مفهوم العدمية عند نيتشه يحمل معاني مختلفة، ويمرّ بمراحل متعدّدة: تبدأ بالعدمية النافية، التي تحتقر العالم الحقيقي لصالح عالمٍ متخيّل؛ ثم العدمية السلبية، التي تنكر القيم كلّها نتيجة "موت الإله"، وهي تُعبّر عن حالة الإنسان الأخير؛ تليها العدمية الناقصة، التي تحاول تأسيس القيم على أساسٍ إنسانيّ دون تغيير جوهرها؛ وأخيرًا، العدمية الفاعلة، التي تهدم القيم القديمة لتؤسّس قيماً جديدة، وتهدف في عمقها إلى خلق الإنسان الأسمى .[3]

ومن هنا يظهر تجاوز نيتشه لكلّ أشكال العدمية السلبية والناقصة، واستبدالهما بعدمية فاعلة تستعيد فيها الإرادة صلتها بالزمن، وتُستبدل "خيرات" الأخلاق القديمة—التي تُزيل النقص، وتُكرّس الزوال، والرضا عن الذات، والطُمأنينة، والتهاون—بأخلاق وقيم جديدة تعبّر عن الحياة والقوة والتجاوز.[4]

---

1 نفس المرجع، ص 233.

2 نفس المرجع، ص 235–236.

3 جمال بلغقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة، ص 206.

4 نفس المرجع، ص 226.

حيث إن جذور العدمية عند نيتشه تنبت من الأخلاق المسيحية، ورأى أن الشك في الأخلاق هو الأمر الحاسم هنا. فنهاية التفسير الأخلاقي للعالم، والقول بأن كل شيء يفتقر إلى المعنى، كل ذلك يعبر عن تفسير للعالم يصعب الدفاع عنه، مما يثير الشك في أن كل تفسيرات العالم كاذبة. وهنا إشارة إلى أن الأخلاق المسيحية بوصفها أصل العدمية، وهذه الأخلاق – حسب نيتشه – كانت تمنح الوجود معنى زائفًا، وبداية الشك فيه تكشف أن العالم في حقيقته وهمي ويفتقر إلى المعنى، وهو ما يؤدي إلى انهيار الأساس الذي قامت عليه الأخلاق. وهنا تظهر العدمية، ويصل بهم الشك إلى أن كل تفسير نهائي أو مطلق في العالم هو في جوهره كاذب.[1]

لذلك يهدف نيتشه إلى التغلب على العدمية الأوروبية في المستقبل عن طريق "إرادة القوة"، ويعود ليؤكد أن المفاهيم والقيم تعبيرات عن الإرادة، ووسيلة لسيادة إرادة على أخرى. وما دامت الحياة "إرادة قوة" ولا شيء غير ذلك، فلكي يحيا الإنسان، لا بد له من أن يضع قيمًا، وهذا التقويم نفسه هو الوجود أيضًا. فعندما نقول "لا"، نعبر أيضًا عما نحن عليه، أي عن جوهر وجودنا. ويبدو أن القوة هي القيمة الوحيدة في نظر نيتشه، وأن "إرادة القوة" هي المؤثر الفعّال وراء كل التقويمات، وبالتالي لا يمكن تجاوز العدمية إلا من خلال إرادة القوة، التي هي المبدأ الأساسي للحياة. فالقيم من وجهة نظره ليست حقائق ثابتة، بل هي تعبيرات عن صراع الإرادة، إذ تسعى كل إرادة إلى فرض نفسها وسلطتها على الأخرى من خلال إنتاج القيم، وبالتالي يخلق الإنسان القيم لنفسه، ذلك لأن خلق القيم هو في حد ذاته تعبير عن الوجود والقوة. [2]

فالأخلاق عند نيتشه هي "العلم بأحوال السيطرة"، وهي المعرفة التي توصلنا إلى إيجاد الوسائل لتحقيق إرادة القوة لدينا في ميدان الجماعة. وما الخير إلا الإنصاف بالشجاعة، ويرى أن أوفر الحيوانات شجاعة هو الإنسان، الذي قهر بشجاعته سائر الحيوانات وتغلب على جميع الأوجاع، على الرغم من أن أوجاع الإنسان أشد ما في الكون. وبالتالي، ففي منظور نيتشه، الأخلاق ليست مجموعة من الأوامر عن الخير والشر كما في الدين، بل هي وسيلة لتحقيق السيطرة والإرادة، وأن الخير الحقيقي هو الشجاعة، لأن هذه الأخيرة تقود إلى القوة. والإنسان في

1 صفاء عبد السلام علي جعفر، مرجع سابق، ص364.

2 نفس المرجع ص283.

رأيه هو أشجع الكائنات، لأنه استطاع أن يهزم باقي الحيوانات ويتغلب عليها رغم جميع آلامه، وأن ألمه هو الأقسى، وهذا ما يجعله الأعلى بينهم. [1]

ويحلل نيتشه موقف الضعفاء والقطيع من القوة والحياة، ويرى أن الطبائع الضعيفة تعجز – بسبب ضعفها – عن توكيد الحياة، ومن ثم تضع أخلاقًا تسمح لها بالهرب من عملية اكتساب المزيد من القوة، فتمجّد الضعف وفضائل الشفقة. والنتيجة هي النواهي والتحريمات التي تفرضها على الأقوياء والأصحاء، والتي تظهر في صورة نواهي المسيحية. وهنا يصف نيتشه الضعفاء بالعجز، فبدلاً من مواجهة الحياة بقوة والسعي للقوة، اخترعوا منظومة أخلاقية تتناسب مع ضعفهم، فمجّدوا الضعف وجعلوا منه فضيلة، مثل الشفقة، كوسيلة لتبرير عجزهم. ومن هنا تنشأ أخلاق تسعى إلى قمع الأقوياء، فتفرض عليهم أوامر ونواهي، لكنها في حقيقة الأمر وسيلة لحماية الضعفاء من تفوق الأقوياء. وهذه الأخلاق تهدف إلى إيقاف إرادة القوة ومنعها. [2]

إن الأحكام لا تكتسب مشروعية أخلاقية أو معرفية إلا إذا كانت الأخلاق نابعة من الذات، لا من الآخر. فلماذا نتحدث عن التسامح، والعدل، والشفقة، في حين أنها من الأفكار التي أنتجها الآخر؟ فلا أحد تكون غايته أن يعيش بعمق وقوة، معتنقًا لأفكاره الخاصة، يستطيع مع ذلك القبول بأفكار الآخرين؛ بل على العكس من ذلك، يحتقرها ويجعلها في مرتبة دنيا. [3]

إننا نحن من يخلق عالمنا بلا قيمة، ونحن كذلك من يخلق عالم القيمة. إن ما ينقصنا إذن هو "الإرادة" التي تسعى إلى اختزال كل شيء، لتفسح المجال لبروز الجمال في أبهى صوره الإبداعية. [4]

---

1 نفس المرجع ص285.

2 نفس المرجع ص285

3 عبد اللطيف، نبيل، مرجع سبق ذكره، ص 100.

4 نفس المرجع، ص 101.

بناءً على ذلك، يمكن اعتبار "إرادة القوة" الوسيلة الوحيدة لخلق القيم. [1]

كما يؤكد نيتشه أن العالم ليس إلا عالم "علاقات القوة"، وأن لا شيء في هذا العالم ثابت؛ فكل شيء متحوّل وسائر إلى التغير، والحقيقة الوحيدة التي نعترف بها هي الصيرورة الأبدية للأشياء، والتحطيم المتواصل المقترن بإعادة الخلق.

وهذا الخلق لا يتم إلا عبر تأسيس القيم، أي تأسيس المعنى. وبالتالي، فالعالم ليس بناءً ثابتًا ومطلقًا، بل هو متغير باستمرار، ولا وجود لحقائق مطلقة أو ثابتة. فكل شيء في حالة تحول دائم، بل كل شيء في حالة صيرورة دائمة: يتشكل، وينهار، ثم يُعاد تشكيله من جديد. وبذلك، فإن خلق معنى جديد أو قيم جديدة لا يحدث إلا من خلال هذه العملية، أي من خلال القوة.

وبالتالي، فإن نيتشه يؤكد أن العالم ليس إلا شبكة من علاقات القوة، وأن الثبات وهم؛ إذ إن كل شيء خاضع للتحول والصيرورة. الحقيقة الوحيدة التي يمكن التسليم بها هي الصيرورة الأبدية للأشياء: التحطيم المتواصل المقترن بإعادة الخلق.

وهذا الخلق لا يتحقق إلا عبر تأسيس القيم، أي بناء المعنى. فالعالم، في نظر نيتشه، ليس بناءً ثابتًا أو حقيقة مطلقة، بل هو دينامية مستمرة، لا تعرف السكون أو التمركز، بل تحولات دائمة، حيث تتشكل الأشياء وتنهار، ثم تُعاد صياغتها من جديد.

ومن ثَم، فإن خلق المعنى أو إبداع القيم الجديدة لا يتم إلا عبر عملية "القوة"، التي هي المحرّك لكل تحول. فالقوة ليست عنفًا، بل هي القدرة على التجاوز، والابتكار، والتأويل، أي القدرة على أن يُعيد الإنسان تشكيل العالم ومعناه وفقًا لإرادته. [2]

1 نفس المرجع، ص 71.

2 عبد اللطيف، نبيل، مرجع سبق ذكره، ص 70–71.

ومن هنا، يرى نيتشه أن الأنظمة الأخلاقية التي تنحصر في مجموعة من الأوامر والنواهي، تُقيد الفرد بقيم ثابتة، وعندما يخضع لها، فإنه يفقد قوته، ويصبح كائنًا ضعيفًا ومُقلدًا.

وبدلًا من ذلك، يدعو نيتشه إلى "إرادة القوة"، التي تُمثل التحرر من هذه القيود، والسعي نحو التفوق. وهي جوهر الحياة نفسها، والدافع الذي يدفع الإنسان إلى تجاوز نفسه وخلق معنى وجوده بعيدًا عن "قيم القطيع". 1

المطلب الثاني: أخلاق السادة

يميز نيتشه بين نوعين من الأخلاق: أخلاق السادة وأخلاق العبيد، وهذا ما يقوله في نصه الشهير من كتاب بمعزل عن الخير والشر، عنوانه "ما النبيل؟": "أثناء تجوالي بين عديد من النظم الأخلاقية، العميقة منها والسطحية، التي سادت على الأرض اليوم... تَبَدّى لي في نهاية الأمر نوعان أساسيان... فثمة أخلاق السادة وأخلاق للعبيد...".[2]

وتبعًا لهذا التقسيم السابق، فإن النمط الأول هو نمط السادة أو النبلاء، الذين هم الأسبق من الناحية الزمنية، مما يعني أسبقيتهم أيضًا في وضع القيم وتحديد سلم التفاضل ومعايير التقويم. ذلك لأن الطبقة النبيلة كانت دائمًا في الأصل، أو البدء، طبقة من البرابرة، وعلوّها لا يأتي من تفوقها الفيزيولوجي فقط، بل من قوتها النقية؛ لقد كانوا في تركيبهم الإنساني أكثر جمالًا.[3]

لذلك دعا نيتشه إلى أخلاق جديدة، وهي أخلاق السادة، التي تميل بشكل أساسي إلى خلق قيم جديدة ووجهات نظر مختلفة عن الحياة، أكثر من كونها تقمع أخلاق وقيم المجموعات الأكثر ضعفًا. فهي تتيح للإنسان التصرف طَبعًا لغرائزه، ولا تقيّده في حريته.[4]

---

1 لعموري، شهيدة، مرجع سبق ذكره، ص 645.

2 عبد الرزاف بلعقروز، نيتشه ومهمة فلسفة: قلب ترتيب القيم والتأويل الجمالي للحياة، ط1، 2010، دار عربية، ص 184/183.

3 نفس المرجع، ص 184/185.

4 أميرة جمال، قراءة في فلسفة المجنون نيتشه، كتبه أميرة جمال، 28 فبراير 2018.

مسار الصراع بين أخلاق السادة وأخلاق العبيد عبر التاريخ، بدءًا من العصر اليوناني الروماني، حيث سادت أخلاق السادة، لكنها انهزمت أمام أخلاق العبيد الممثّلة في الديانة اليهودية والمسيحية. عادت أخلاق السادة في عصر النهضة، ثم تراجعت مع الإصلاح الديني. وظهرت مجددًا في القرن السابع عشر والثامن عشر مع النبلاء، لكنها هُزمت بعد الثورة الفرنسية. لاح نهوضها مع نابليون، لكن سرعان ما عادت أخلاق العبيد للسيادة. ويرى نيتشه أن هذا الصراع يطبع كل الفترات التاريخية. [1]

ويحدد نيتشه أخلاق السادة بكونها الشعور بالامتلاء والقوة والسعادة، والتوتر الأقصى، والإحساس بالثراء القادر على العطاء والبذل. وإن الإنسان النبيل يساعد التعساء أيضًا، ليس بدافع الشفقة، ولكن بدافع القوة الفائضة. والرجل النبيل يمجد ذاته باعتباره القوي، وباعتباره أيضًا يمارس القوة على ذاته، فيعرف كيف يتكلم، وكيف يصمت، وكيف يبتهج بكونه قاسيًا صارمًا مع نفسه، ويحترم كل قسوة وكل صرامة. ويشير إلى أن الجنس النبيل من البشر يحسب نفسه معينًا للقيمة، ولا حاجة به إلى من يستحسنها، وهو يقرر ما يضرّ به مضرّ في ذاته، ويعي أنه هو من يضفي أولًا وأخيرًا مجدًا على الأشياء. إنه خالق القيم.[2]

وهذا ما يُفصح عنه نيتشه في معرض تحليله لأخلاق السادة، قائلًا: إن الجنس النبيل من البشر له يقين في نفسه بأنه معين للقيمة، ولا حاجة إلى من يستحسنه، وهو يقرر: "ما يضر بي مضر في ذاته"، ويُعين أنه هو من يضفي أولًا وأخيرًا مجدًا على الأشياء. إنه مبدع القيم، وهو يمجد ما يدركه في ذاته.[3]

وحسب نيتشه، فإن أخلاق السادة هي أخلاق الأقوياء، التي لا تعبأ بالمفاهيم الأخلاقية كالخير والشر مثلًا، ولا تتساءل إن كان الفعل طيبًا أو غير ذلك، وإنما يكون مقياس أخلاقية الفعل هو أن يُعبّر عن روح القوة

1 د. محمد عابد الجابري، قضايا الفكر المعاصر، ط1، بيروت، 1997، ص 49.

2 شهيدة لعموري، "أخلاق العبيد وأخلاق السادة في فلسفة نيتشه"، مجلة علوم اجتماعية وإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 02، سنة 2023، ص 645.

3 عبد الرزاف بلعقروز، نفس المرجع، ص 187.

التي يستشعرها المرء في ذاته... فإذا ما صدر عنها الخير، فهو لا يصدر عن خوف أو إكراه، وإنما يصدر عن إحساس قوي بالوفرة والامتلاء والقوة الفياضة.[1]

وبهذا المعنى، فإن أخلاق السادة يشرّعها ما يسميه نيتشه "الإنسان الأرقى"، وهو صاحب الفكر الحر، الذي تخلّص من الإرث الفكري والتراث الروحي اللاإنساني. وإن هذه الأخلاق هي أخلاق أرستقراطية، حيث يعشق الأرستقراطي السيطرة، ويعتز بفائض القوة لديه، ويسلك سلوك القسوة تجاه الآخرين، ويكره الضعف، والكذب، والنفاق، والتملق، والتسامح.[2]

وهكذا نرى أن السادة هم الأقوياء، على غرار العظماء، والنبلاء، والأرستقراطيين. إنهم فلاسفة المستقبل القادمون على مهل، وأهم صفاتهم هي العنف، والاستبداد، والاستغلال. وبهذا المعنى، هم وحدهم جديرون بخلق القيم التي تثبّت الحياة الصاعدة، بما حبّبتهم الطبيعة من إرادة قوة مميزة.[3]

وهكذا يمكن اعتبار أخلاق الأسياد مع الحياة، لا ضدها. وبهذا المعنى، فهي خلاقة، تستقي تشريعاتها من ذاتها، ولا تحتاج إلى عالم خارجي يكون مصدرًا للقيم. إنها أخلاق تستمد مصدرها من القوة الصاعدة، ولأجل ذلك، فهي تمثّل حالة صحية قصوى.[4]

فمعدن الأسياد معدن نبيل، يحظون بدرجة التفوق على الآخرين، وهي الدرجة التي لا تأتيهم من فرط اقتدارهم الجسدي، بل قوتهم النفسية. فهم المبدعون الحقيقيون... على ابتكار القيم التي تعزز فيهم سعيهم إلى الإنسان المتفوق، وليس في قبولهم للحياة وابتهاجهم بمكاسبهم أي نزوع إلى الإكرام والخضوع، بل جلّ الأمر أنهم، على غرار الطفل، يستقبلون الحياة في ذواتهم، واستقبالهم لفيض من القدرة والجود في كيانهم.[5]

---

1 عبد الرزاف بلعقروز، نفس المرجع، ص 188.

2 نبيل عبد اللطيف، فلسفة القيم: نماذج نيتشوية، دار الفرابي، ص110.

3 نفس المرجع، ص 117.

4 نفس المرجع، ص 118.

5 د. الربيع ميمون، نظرة القيم في الفكر المعاصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ص47.

ويستجمع نيتشه جملة من الصفات الملازمة لهذا الصنف البشري، والتي يمكن إجمالها في أنها الأخلاق الأصلية، وهي مرتبطة بعنق بالإثبات الحيوي والمبدع. هذه هي الصفة الغالبة؛ إنها تمجد الفردانية، وتمطَح إلى الغزو، وإنها لا تقبل بالقيم الثابتة، ولا بالواجبات. فالإنسان القوي يبتكر قيمه بنفسه، إنه يحدّ واجباته، يقرر مصيره بنفسه، يخلق الجديد ولا يتقيد بالقديم الفاسد. إنها مرتبطة بإرادة القوة، مسيطرة ومجسّدة لكل ما يعتبر مستحيلًا ولا يُعترف به.[1]

فهذا النمط من التراتب الأصيل والأرستقراطي، محب للتميّز، يشمئز من الضعف والضعة والمداهنة. ولما كانت هذه الطبقة تؤمن بمبدأ خير الأقليّة، فإنها تعمل على المحافظة على النقاء والصفاء، وتُعنى بالتربية حتى تضمن لنفسها استمرار السيادة والتميّز. إنه التراتب الفطري والأصيل، الذي لا يلتقي بالثلة الوضيعة إلا ليثبت اختلافه عنها ويستمتع بهذا الاختلاف.[2]

أما عن علاقتها، أي أخلاق النبلاء، بمن هم في نفس المرتبة، فهي الاحترام والعدالة، لأن ما جمعهم هو غريزة إرادة القوة. فالتعادل بينهم هو من أقدم وأبسط قانون أخلاقي يخص العدالة. أما الأقل قوة، فكانوا يُرغمون على قبول هذه التسوية فيما بينهم. ولما كانت هذه الطبقة تؤمن بمبدأ خير الأقليّة، فإنها تعمل على المحافظة على النقاء والصفاء، وتُعنى بالتربية حتى تضمن لنفسها استمرار السيادة والتميّز.[3]

وفي علاقاتهم بالأسلاف والآباء الأوائل، فتتخذ شكلًا طقوسيًا شبيهًا بالشعائر الدينية؛ فهم يوقرونهم ويقدمون القرابين لأرواحهم، وذلك تسديدًا لدَين الوجود والنبل. ولا يلبث هؤلاء الأجداد أن يصبحوا الآلهة التي تتعبدها أعضاء هذه الطبقة. وما يقدّسه عضو الطبقة الأرستقراطية هو صفاتهم النبيلة، التي هي في نفس الوقت صفاته أيضًا.[4]

وهكذا، فالأرستقراطي محبّ للغزو، معتزّ بقوته، قاسٍ على نفسه وعلى الآخرين... ولا يُحفل بالحياة ولا بنِعَمها، ولا بالطمأنينة والسلام. إنما يجد النعم في الانتصار والقوة والتحطيم، ويشعر بسرور عميق وهو يعذّب

1 عبد الرزاف بلعقروز، مرجع سابق، ص 188.

2 نفس المرجع، ص 189.

3 شهيدة لعموري، نفس المرجع، ص ص 646 -667.

4 عبد الرزاف بلعقروز، نفس المرجع، ص 189.

الآخرين. وما يُقدّم إليه من شرّ يقابله بالمثل، بل بأضعافه. وهو يُقدّس التقاليد والماضي، ويتخذ من ذكرياته مجالًا للتفاخر وينبوعًا للقوة.[1]

ولما كانت هذه الطائفة، الأقلية دائمًا، تعمل جهدًا كي تحافظ على صفاتها وتظلّ نقيّة لا يتطرق إليها الانحلال باتصال الشعوب المسوَّدة أو الطبقات الدنيا بها، ومن أجل هذا، تُعنى بالتربية وبكل ما يتصل بحياة الأسرة، حتى تضمن لنفسها استمرار السيادة والبقاء.[2]

فالسادة يحتقرون العبيد ويزْهقونهم، ويجدون كل شيء مباحًا إزاءهم من تنكيل، وتعذيب، وقسوة، واعتداء على كرامتهم، وحطٍّ من مركزهم. ويعدّونهم ميدانًا واسعًا لإبراز حبّ السطو، والغزو، وإظهار السيطرة، وتصريف شعورهم القوي بفيض قوتهم. فالطابع السائد إذًا في سلوكهم إزاءهم هو الاحتقار والامتنان [3]

كما أن أخلاق السادة، حسب نيتشه، هي الأخلاق التي تسعى إلى النهوض بالحياة، وتزيدها امتلاءً وقوة، وتصل في النهاية إلى مثل الإنسان الأعلى، الذي يُسميه نيتشه بـ "الإنسان الأرقى". وهذا الإنسان لا يمتّ صلة بالإنسان الطيب، بل هو إنسان قوي، يسعى إلى مزيد من الحيوية في كل شيء.[4]

وقد كان نيتشه متحدثًا عن النبلاء خالقي قيمهم بأنفسهم: "أكان النبلاء رومانًا أم عربًا، جرمانًا، أم يابانيين، أكانوا أبطالًا هوميريين، أم فيكنغ سكانديناڤيين، في هكذا حاجة هم سواء. الأعراق النبيلة هي تلك التي تركتْ، حيثما ذهبت، البربري على جميع آثارها... جرأة الأعراف النبيلة، وهي لعمري جرأة مجنونة، عابثة، خاطفة، كما تُعبّر عن نفسها: ما لا يُتوقع، ما لا يُصدق، وما تأتي من أفعال جسام... عدم اكتراثهم، واستخفافهم بالأمن والترف... كل ذلك جرأة عند الذين ينتمون إلى صورة البربري العدو البشري". وفي هذا القول، يشير نيتشه إلى أن أخلاق السادة نشأت من الطبقات النبيلة والمحاربة في الثقافات القديمة، مثل (الرومان، الإغريق...) الذين لم يكونوا بحاجة إلى تبرير أفعالهم بالقيم الأخلاقية المشتركة، بل كانت القوة، والألم، والعنف، كلها سم...بل كانت القوة،

1 عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 174.

2 نفس المرجع، ص 175.

3 نفس المرجع، ص 180.

4 فؤاد كامل، إعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار جيل، بيروت، ط1، 1992، ص 189.

والألم، والعنف، كلها سمات فخر وتفوّق، لا يَشينها الخجل، ولا يُطلب لها مبرّر. إنهم لا يفكرون بمنطق "هل هذا عدل؟" بل بمنطق "هل هذا يُعبّر عن قوتي؟"، فكل ما يصدر عنهم هو تعبير عن الذات النبيلة التي لا تحتاج إلى إذن أو تبرير.[1]

ويؤكد نيتشه أن أخلاق السادة هي التي تُمكّن للإنسان القوي وتُوطّد نفوذه، وهي تتمثل في الاعتزاز بالقوة، واحتقار الضعف، واحترام القسوة، والاستخفاف بالرحمة، وحبّ الصراحة، وكراهية الكذب، والنفاق، والخداع، والنفور من أصناف الحلول الوسط، والميل إلى الظفر في ميادين الكفاح، وقهر المتنافسين، والسير على جثثهم من غير رفق أو رحمة[2]

وتتجه أخلاق السادة إلى السموّ، والطموح إلى ما هو أفضل، إلى إرادة الحياة وإرادة القوة، وامتلاك القدرة لتحقيق الذات. إنها أخلاق الصعود لا التواضع، أخلاق الفعل لا الانفعال، وهي جوهر الإنسان الأرقى الذي لا يرضى بأن يكون مثل غيره، بل يسعى إلى تجاوز ذاته وتجاوز الآخرين. [3]

كما يوضح نيتشه أن الإنسان النبيل، صاحب أخلاق السادة، لا يعرف الخير من خلال نقيضه، بل يبدأ من ذاته، فيرى نفسه طيبًا أو جيدًا انطلاقًا من شعوره الفطري بالتفوق، والقوة، والنقاء، والجمال. هذه القيمة الطيبة تنبع منه بشكل عفوي ومسبق، دون حاجة إلى مقايسة أو حكم على الآخر. أما "الخبيث" أو "غير الطيب"، فهو لا يأتي لاحقًا كمفهوم تابع، يُستخدم فقط لتمييز الآخرين الذين لا يشاركون النبيل في هذه الصفات، كالفقراء أو الضعفاء. وبالتالي، فمفهوم "الخبيث" ليس محمّلاً بالكراهية أو الحقد، بل هو توصيف خارجي ناتج عن اختلاف طبقي أو شعوري. وهذا يختلف جذريًا عن مفهوم "الشر" في أخلاق العبيد، حيث يُولّد الكراهية والحقد، ويُعرَف السيد على أنه "الشرير"، أي أن مفهوم الخير عند العبيد لا يوجد إلا كردة فعل على الآخر القوي. وهذا ما نجده في قوله:

---

1 فريدريك نيتشه، في جينيالوجيا الأخلاق، ترجمة فتحي المسيكي، دار سيناترا.

2 محمد عريضة، فريدريك نيتشه: نبي فلسفة القوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993 ص 90.

3 د. محمد عابد الجابري، نفس المرجع السابق، ص 50.

"لا نجد هنا إذن سوى سبل متعارضة مع سبل الإنسان النبيل، الذي لا يسعه بعدُ، فهمَ فكرة الطيب الأساسية بطريقة عفوية ومسبقة، أي مستمدة من أناها ذاتها، أن يخلق فهمه للخبيث، إلا انطلاقًا من تلك الفكرة. هاتان اللفظتان: هذا «الخبيث» ذو المنشأ الأرستقراطي، وهذا «الشرير» المذوّب في الكراهية التي لا ترتوي، باعتبار أن الأول قد وُجد لاحقًا بوصفه زائدًا أو تابعًا أو معنى دقيقًا مكمّلًا، والثاني بالعكس." [1]

المبحث الثاني: استراتيجيات القيم الفريديريك نيتشه

المطلب الأول: الإنسان الأعلى

يقول نيتشه في كتابه هكذا تكلم زرادشت: «إلى الأمام أيها الراقون، لقد قرر المستقبل أن يُولد، لقد مات الله، ونحن نريد أن يحيا الإنسان المتفوق». فلما أعلن زرادشت للعامة نبأ ظهور الإنسان المتفوق، رفضت العامة ذلك وأنكرت وجوده، مدعين أنهم جميعًا متساوون أمام مملكة الرب، وقد تغافلوا أن الإله المسيحي والأخلاقي قد مات، وحان وقت ظهور الإنسان الأعلى، محطم العدمية. فالحياة العظيمة عند نيتشه هي تلك الحياة التي ترتقي إلى اللامساواة، والحياة الارتكاسية تدعو إلى ضد المساواة، ونيتشه يرفض رفضًا قاطعًا التساوي بين الأعلى والأدنى، والقوي والضعيف.[2]

لذلك، يركّز نيتشه في فلسفته على خلق الإنسان الأعلى، أو ما يسميه بالرجل الأرقى، أي الوصول بالإنسان عن طريق الصراع والتطور الذاتي الصاعد. وهو يطبق هنا مذهب التطوريين، فيذهب إلى أن الكائنات بدأت مع الخلية الواحدة "الأميبا"، ثم تطورت إلى الأعلى، ووصلت في تطورها إلى الإنسان، الذي وقف عند حدّ معين، ولم

1 حسين قبيسي، مرجع قد سبق ذكره، ص 35.

2 عبارة آمال، الفيلسوف وتجربة الإبداع عند فريدريك نيتشه، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2013–2014، ص. 112–113.

يُكمل مسيرة الارتقاء ليصل إلى الأعلى منه. وكان على الإنسان أن يفعل نفس الشيء، لكن أعاقته أوهامه الذاتية عن الدين، والأخلاق، والقيم... لذلك، نيتشه دعا الإنسان أن يبدأ من جديد، ويقوم ويتجاوز القيم التقليدية.[1]

ويقوم بخلق قيمه الخاصة، ويتميّز بالإرادة والتميّز. ومفهوم الإنسان الأعلى أو الخارق نجده بارزًا في فلسفة نيتشه، مُمثّلًا في كتابه زرادشت، حيث يرتبط عنده هذا المفهوم بالتحرر الكامل للإنسان من الأخلاق، والمعتقدات الدينية السائدة، وحتى الأفكار الفلسفية السابقة. وهكذا، أعلن نيتشه في كتابه هكذا تكلم زرادشت، على لسان زرادشت، بقوله: «إنني آتٍ بنبأ الإنسان المتفوق، فما الإنسان العادي إلا كائن يجب تفوقه». ومن هنا، يُقرّ نيتشه أن الإنسان الأعلى هو الهدف الذي لابد أن يسعى إليه الإنسان، وبعد أن تنهار القيم التقليدية. وهذا الإنسان لا يخضع لقيم مفروضة، بل يخلق قيمه بنفسه، ويعيش بإرادة وقوة تدفعه لتجاوز الإنسان العادي. إنه نموذج للتحرر، والإبداع، والتفوق.[2]

لذا، يعتبر نيتشه الإنسان كونه جسرًا لا هدفًا، وما يمكن أن يكون جديرًا بالحب في الإنسان هو كونه معبرًا، وصيرورة، واندثارًا. فنيتشه ينكر وجود الإنسان الأعلى في الوقت الحالي، بل يدعو إلى التحضير لظهوره، فيقول: «قد لا تستطيعون ذلك بأنفسكم... لكن بإمكانكم أن تجعلوا من أنفسكم آباءً وأسلافًا للإنسان الأعلى، ولكن ذلك أفضل صنيع تصنعون».[3]

حيث يطرح نيتشه فكرة الإنسان الأسْمَى باعتبارها الهدف النهائي لتطور البشرية، حيث لا يجب أن يظل الإنسان كما هو، بل لابد من تجاوز نفسه ليصل إلى مستوى أعلى من القوة والإبداع. يقول: «أنا أعلمكم الإنسان

1 مجدي كامل، فريدريك نيتشه: شيطان الفلسفة الأكبر، حياته، فلسفته التصادمية، مؤلفاته، آراؤه في المرأة، موقفه من الأخلاق والإنسان والأديان والعرب واليهود، دمشق – القاهرة: دار الكتاب العربي، 2011، ص. 90.

2 شهيدة لعموري، "أخلاق السادة وأخلاق العبيد في فلسفة نيتشه"، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 10، العدد 02، 2023، جامعة ورقلة – الجزائر، ص. 649.

3 رضا خمري، "مفهوم الإنسان عند نيتشه"، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد 01، المجلد 10، 2022، ص. 1227.

الأسْمَى، لا يوجد إنسان إلا ليتم تجاوزه»، مما يعكس رؤيته أن الإنسان العادي ليس إلا نقطة عبور نحو شكل أسْمَى من الوجود، يتميز بإرادة القوة ويتجاوز القيم التقليدية. لهذا يقول: «الإنسان الأسْمَى هو معنى الأرض».[1]

كما أن الإنسان الأعلى في نظر نيتشه هو الإنسان الذي يُجسد المثل الأعلى الأخلاقي. إنه الإنسان الذي يثور على الأخلاق السائدة، والتي تقوم على الشفقة، والرحمة، والصبر، والتواضع... ويسعى إلى المزيد من الحيوية، وإلى المزيد من السمو بالذات، والعلو بالحيوية. إنه نزوع مستمر نحو الأفضل، نحو الأرقى، والأصلح.[2]

ويبدو أن نيتشه كان يُحدّد هدفه في البداية على أن الجنس البشري بأسره، وأن الإنسان الأعلى سيولد من البشر أجمعين، ولكن يبدو أن طبقة السادة وحدها هي المرشحة أن يُولد منها الإنسان الأعلى، ولذا يجب توظيفها هي وحدها في هذا الشأن. كما يرى نيتشه أن فكرة الإنسان الأعلى تتجاوز الإنسان العادي من خلال إرادة القوة، والقدرة على خلق القيم الذاتية بدلًا من الامتثال للمعايير التقليدية، في نقده للمجتمعات التي تعمل وفق أنظمة ثابتة.

ويستخدم استعارة "ملكة النحل" لتوضيح كيف يمكن للكائنات أن تكون موقع قوة، ولكن دون استقلالية حقيقية، فالملكة، رغم مكانتها، تخضع لمنظومة صارمة تجعلها مجرد عنصر في نظام متكرر. على عكس الإنسان الأعلى عند نيتشه، فهو من يتجاوز هذه البنية المحددة، ويصنع مساره الخاص دون أن يكون مقيّدًا بالقيم التقليدية والمبادئ المفروضة عليه، بل يسعى إلى التعبير الكامل عن إرادته الحرة، وهذا ما نجده في قوله: «إن الإنسان الأعلى يشبه من بعض الوجوه ملكة النحلات، التي يقوم على خدمتها الشغيلة، الضعفاء، والعبيد، ولكنها مع هذا ليس لها إرادة مستقلة، فهي يتم حوسلتها تمامًا مثل الشغيلة أنفسهم. فعالم النحل عالم دقيق، رائع، رتيب إلى رهيب،

1 جيل دولوز، نيتشه، ترجمة أسامة الحاج: دار المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط.1، بيروت ،1998 / 1418هـ، ص. 120–121.

2 محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية، ط.1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص. 51.

لا تتخلله أي ثغرات، ولا يوجد فيه أي قسم متجاوز للدورة الكونية أو البرنامج المقرّر. يُجْرَى العمل فيه من أجل غاية مجردة تُسمى الحياة، أو الطبيعة، أو الآلة الطبيعية التي تُكرّر نفسها».[1]

فمهمة الإنسان الممتاز أن يكون خالقًا للقيم، يضع للأشياء من القيم ما يريد، فهو حر كل الحرية في أن يضع شريعة القيم التي يرتئيها، إن في الأخلاق، والسياسة، وفي الفلسفة. إن الإنسان الممتاز هو الذي يحدد معتقدات العصر بأكمله، ويُعطى للحضارة صورتها، ويخلق القيم في حرية تامة، غير آبه للخير والشر، والحق والباطل، بمعنى أنه هو مصدر الأخلاق، وهو الذي يحدد الخير والشر، والحق والباطل.[2]

وبالتالي، فإن فكرة الجماعة ليست في حد ذاتها غاية، وهدف الإنسانية الأسمى هو تخريج الإنسان الأعلى، وليس الجنس البشري. ويستطرد نيتشه في توضيح العلاقة بنقده اللاذع لدعاة الديمقراطية والمساواة بين أفراد المجتمع، والعمل على محو كل ما يحصل به التفوّق بين أفراده، لأن ذلك يُناهض خلق الإنسان المتفوق، ويُناهض قانون الطبيعة، حيثما توجّهت فيها تلمّست القوة، وإن الإنسان الأعلى، بالنسبة لمجتمعه، هو ذلك الذي ينطوي على نفسه، مختليًا بذاته في وحدته، كالنجم الغارق في السكون، الذي يُهتدى به.[3]

ويبدو من حديث نيتشه أولًا بأنه كان يرجو بعث نوع جديد من الإنسان، ولكنه أخذ يُفكّر بعد ذلك في أن الإنسان الأعلى فرد متفوق، يرتفع بشجاعة من وسط الشعب بفضل تربيته القوية، لا بفضل الانتخاب الطبيعي. لذلك، يجب علينا إذا أردنا أن نخلق الإنسان الأعلى أن نُشرف على التربية، ولا ندع الأمر فوضى في يد الانتخاب الطبيعي، لأن طبيعة الحياة تُعارض أفذاذ الرجال، والطبيعة أقسى ما تكون على أفضل أفرادها.[4]

---

1 عبد الوهاب المسيري، نيتشه: فيلسوف العلمانية الأكبر، ص. 18–19.

2 عبد الرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوربي سلسلة فلاسفة نيتشه، الطبعة الخامسة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975، ص 264.

3 نذير لخريف، الإنسان المتسامي عند كل من فريدريك نيتشه ومحمد إقبال وجبران خليل جبران، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث، تخصّص: الأدب المقارن، جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، 2020/2019. ص117.

4 ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ص. 532.

كما يرى نيتشه أن الإنسان المثالي ليس الشخص الذي يعيش فقط لإرضاء الآخرين أو خدمة المجتمع، بل هو الشخص الذي يسعى ليكون أقوى وأكثر استقلالية، يحدّد أهدافه التي تتوافق مع طبيعته الفريدة، وليس مجرد تقليد الآخرين. بمعنى آخر، الإنسان الأعلى كما يراه نيتشه هو من يخلق قيمه الخاصة، بدلًا من تبنّي القيم التقليدية دون تفكير، وهذا ما نجده في قوله: «إنهم يُضلّلون الناس من حيث إنهم يزعمون بأن الإنسان الكامل ليس ذلك الذي يضع نفسه في خدمة حياته ذاتها، وإنما هو ذلك الذي يفسح حياته قربانًا على مذبح المثل الأعلى. ولن ينتهي الأمر بأن يختلق المرء لنفسه أهدافًا مضلّلة ذات منطلقات تتنافى مع الطبيعة أو تتعالى عليها، وإنما يعدّ نفسه كليًا لهذه المثل، التي كثيرًا ما يستعيرها من الآخرين دون أن يكون لها أدنى الأثر على حياته ومتطلباته. وفي هذه الحال، يتلاشى الطموح الهادف إلى إظهار المكنونات التي تنطوي عليها الشخصية.»[1]

فالإنسان الأعلى ليس أنموذجًا مفارقًا للحياة والأرض، وكذلك ليس حلقة جديدة من سلسلة تطور الكائنات الحية على النحو الذي نجده عند داروين عن طريق الإنجاب الطبيعي، وكذلك لا يتقيد بالجذور الأخلاقية الموروثة، ومعايير التقويم بين الخير والشر. إنه نموذج الإنسان النوعي، طباعة مختلفة في فعله وعاداته وعلاقة الإنسان بالجسد، فهي تبدو علاقة نوعية منه، وليس منبعًا للشهوة والخطأ، وليس سجنًا أودعت فيه الألوهية النفس المذنبة، بل هو الغرائز اللاشعورية والحيوية التي لا تخطئ أبدًا، المنفلتة من قبضة الوعي.

كما يرى نيتشه أنه من السخافة أن نسمح لأفذاذ الرجال بالزواج عن طريق الحب، بأن يتزوج الأبطال من الخادمات، والعباقرة من الخياطات. وعندما يقع الإنسان في الحب، يعمى بصيرته ويفقد حكمته. لذلك، لا نسمح بزواج يقوم على الحب، بل يجب أن يتزوج خير الرجال خير النساء، إذ ليس الغرض من الزواج مجرد النسل، وإنما التطور والرقي، لتكون الخطوة الثانية لصياغة الإنسان الأعلى.[2]

وعندما تحدث نيتشه عن الإنسان الأعلى، لا يقصد به منزلة عليا أو منزلة راقية من الإنسان، بل منزلة فوق منزلة الإنسان. فالإنسان تطور وأصبحت له منزلة أعلى من الحيوان، والإنسان الأعلى له منزلة فوق منزلة

1 رودولف شتاينر، نيتشه مكافحًا ضد عصره، ترجمة حسن صقر دار الكلمة، ط1، 1998، دمشق، ص 66-67.

2 ول ديورانت، نفس المرجع السابق، ص 532.

الإنسان الحالي. فيقصد نيتشه بالإنسان الأعلى ليس تفوقًا داخل النوع البشري، بل تجاوزًا له. فالاختلاف بينهما هو اختلاف بالطبيعة وليس بالدرجة.[1]

وفي كتاب "هكذا تكلم زرادشت"، يعلن زرادشت، الذي هو قناع نيتشه، خطبته الأولى التي تبدأ بالكلمات التالية: "جئت لأعلمكم كيف يكون الإنسان الراقي، فالإنسان شيء يجب تجاوزه. فماذا فعلتم لتحقيق ذلك؟" فالخطاب المركزي هو وجوب تخطي الإنسان الحديث الذي رفضته الكنيسة، وجعلته مسالمًا رحيمًا ينشد الغير، ويسعى بكل الوسائل لاعتناق ما يبعث في الحياة القوة والجمال والامتداد. بمعنى أن الإنسان في صورته الحالية ليس سوى مرحلة مؤقتة يجب تجاوزها نحو نوع أرقى من الوجود، وهو ما يسميه الإنسان الأعلى، بدلاً من الإنسان الضعيف الذي نشأ تحت تأثير الأخلاق الدينية التي تمجد التواضع والتسامح، وتقون بكبت غرائزه باسم الدين، بل يدعو نيتشه إلى خلق إنسان جديد، الإنسان الذي يمجد القوة لا الخضوع والذل، ويبتكر أسلوب حياة يعبر فيها عن الإرادة والحرية والجمال.[2]

المطلب الثاني: الخلود الأبدي

يرى نيتشه أن الحياة التي تحياها أنت الآن، والتي عشناها من قبل، سوف نعيشها مرة، ومرة، ومرة، وفي أزمان بغير عدد، ولن يكون فيها شيء جديد، بل كل ألم، وكل فرح، وكل فكرة، وكل تنهيدة... وجميع الأحداث العظيمة في حياتك لا بد أن تعود إليك من جديد، كل شيء بنفس التسلسل ونفس النتائج.[3]

إن كل ما يحدث سيعود من جديد عددًا لا نهائيًا من المرات، وأنه قد حدث من قبل وسيحدث من جديد، مرة وإلى الأبد، فلا توجد بداية أو نهاية، أو حتى وسط لقصة العالم، لأن كل ما يحدث في الزمان يتكرر بنفس الهوية،

1 رضا خمري، نفس المرجع السابق، ص 1229/1228.

2 بلغقروز، عبد الرزاق. نيتشه: مهمة الفلسفة، قلب تراتيب القيم والتأويل الجمالي للحياة. ط1، دار العربية للعلوم، بيروت، 2010، ص 208.

3 لورانس جين، أقدّم لك نيتشه، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة، ص 48.

متضمنًا كل ما في العالم من خير وشر، ولذا فإن كل الأحوال التي مر بها هذا العالم قد مر بها من قبل عددًا لا نهائيًا من المرات.[1]

لهذا يقول نيتشه: "سأعود بعودة هذه الشمس، وهذه الأرض، ومع هذا النسر، وهذه الأفعى، وسأعود لا لحياة جديدة، ولا لحياة أفضل، ولا لحياة مشابهة، بل إنني سأعود أبدًا إلى هذه الحياة بعينها، إجمالًا وتفصيلًا، فأقول أيضًا بعودة جميع الأشياء تكرارًا وأبدًا، وأبشر أيضًا بظهيرة الأرض والناس وبقدوم الإنسان الأعلى"؛ بمعنى أن فكرة العود الأبدي بوصفها اختبارًا قاطعًا لقيمة الحياة الإنسانية، فعودة رجوع الشمس، والأرض... بكل تفاصيلها، بلا تحويل أو تعديل، نعيشها إلى ما لا نهاية. وتقبل فكرة العود الأبدي عند نيتشه يعني أن الإنسان قد ارتقى إلى مقام "الإنسان الأعلى"، ذلك لأن الإنسان العادي يهرب من هذه الفكرة ويسعى فقط إلى الراحة.[2]

لهذا نجد نيتشه يقول: "آه! يعود الإنسان الجديد إلى الأبد! الرجل الحقير يعود من جديد!... إن هذا ليحملني على اليأس من الوجود! فبإزاء هذه النظرية يشعر الحقير من الناس، والمتوسطون منهم، بيأس قاتل وقنوط... إنها نظرية تدفع بهؤلاء إلى الجنون... كل شيء سيرجع من جديد، وسيحيا الإنسان ماضيه مرة أخرى" .[3]

ويشدد العود الأبدي على مغزى أفعالنا الحاضرة، فما نفعله الآن سوف يعود إلينا مرة أخرى، ومرة ثالثة، إنه يبرز واقع مسؤوليتنا الشخصية عن أفعالنا، كما يتضمن تصريحًا هو: "كافح لتكون أقوى مما أنت عليه" .[4]

فهذه النظرية تجعل مسؤولية المرء أضخم ما يكون، إذ على أعماله لا تتوقف حياته فحسب، بل مستقبل الدنيا بأسرها على مر الزمان، فهو مسؤول أمام نفسه أولًا، لأنه سيحيا هذه الحياة التي يحياها الآن مرة ومرات، وما لا نهاية له من المرات من جديد. فالمسؤولية مضاعفة إذًا، لأنها لا تتناول عملًا مضى مرة واحدة ولن يعود، بل تتناول عملًا سيعود مرات ومرات. بمعنى أن هذه النظرية تفرض على الإنسان أن يتصرف كما لو أن أفعاله

1 نفس المرجع، ص 388.

2 عبد الرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي، مرجع سابق، ص 270–271.

3 أقدّم لك نيتشه، مرجع سابق، ص 49.

4عبد الرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي، مرجع سابق، ص 270.

ستتكرر إلى ما لا نهاية، وهو ما يجعل مستقبل وجوده خاضعًا لقانون الزمن الأبدي، ومن ثم يكون الفرد مسؤولًا أمام ذاته أولًا، لأنه سيعيش الحياة ذاتها مرارًا وتكرارًا بكل ما فيها دون أي تغيير، وهكذا تصبح المسؤولية مضاعفة.[1]

ومنها، فالعود الأبدي يجعل شعور الإنسان أقوى وأعظم، وهي تجعله يتقبل هذه الفكرة بكل ما تحتويه ويحظى بأسمى ما تقدمه إليه، وهذا بدوره يجعله يصل إلى أعلى درجة بحياته، والصعود بها في سلم التعالي درجات فوق درجات بسرعة هائلة. فالعود الأبدي يجعل الحياة والعمل يحاولان الوصول إلى أعلى درجة، ومن هنا تُعتبر فكرة العود الأبدي بوصفها تجربة فكرية وروحية تقوي الإنسان، فهي تحمله على تقبل الحياة بما فيها من ألم ومعاناة، واعتبار كل لحظة فيها لا بد أن تعاش مرة أخرى، وهذا القبول يدفعه إلى الارتقاء المستمر في حياته.[2]

كما أن حب الحياة يجعل الخوف من الموت يزول نهائيًا، ما دامت هذه الحياة نفسها، وهي حافلة بالنسبة إلى الفرد الممتاز، ستعود من جديد، فهو يقول للموت كما قال زرادشت: "أهذه هي الحياة؟ إذا، هاتها مرة أخرى!" فالموت إذًا لا خوف منه ما دام المرء ضمن الخلود عن طريق نظرية العود الأبدي. فإذا كان الإنسان يستطيع أن يتقبل عودة الحياة مرة أخرى بكل ما فيها من ألم وفرح، ويقبل تكرارها إلى الأبد، فهذا يدل على قوته وتجاوزه للخوف من الموت والعدم.[3]

وأولى القواعد العلمية التي ترتكز عليها فكرة العود الأبدي –في رأي نيتشه– هي القول بأن القوة الكونية متناهية ومحددة، ومعنى ذلك أن عدد مواقع هذه القوة وتغيراتها وتركيباتها محدود بدوره، وإن يكن هائلًا. ففكرة استمرار التحول إلى ما لا نهاية تنطوي في ذاتها على تناقض، إذ نفترض وجود قوة تتزايد إلى ما لا نهاية. وهنا يقصد نيتشه أن فكرة العود الأبدي ليست إلا تلك التي تظهر مرة واحدة وبقوة، بل هي التي تمتلك القدرة على

1عبد الرحمن بدوي، نفس المرجع، ص 272.

2 عبد الرحمن بدوي، نفس المرجع، ص 273.

3 فؤاد زكريا، نفس المرجع، ص 141.

التكرار والبقاء كامنة، لكنها قابلة لإعادة الظهور بقوة في كل مرة، وأن ما نعيشه قد حدث من قبل وسيتكرر مرة أخرى.[1]

والشرط الثاني هو أن يكون الزمان لا متناهيًا، أي أن تظل هذه القوة تمارس فعلها بلا انقطاع. فإذا توفرت اللانهائية للزمان، فلا بد أن تُستنفد الإمكانيات التي تتاح لهذه القوة المحدودة، وبهذا تأتي حالة تماثل تمامًا حالة أخرى تكررت من قبل، وعندئذ تتلو عنها كل الحوادث كما وقعت من قبل تمامًا، ويكون الكون قد أتم دورته، وتظل هذه الدورات تتكرر إلى الأبد خلال الزمان اللامتناهي، كل منها مماثلة للأخرى في كل صغيرة وكبيرة. أي أن فكرة العود الأبدي تقوم على شرطين أساسيين: الأول أن الزمان لا نهائي، أي أنه يمتد بلا بداية ولا نهاية، والثاني أن القوة في الكون محدودة، وبالتالي فإن عدد الاحتمالات التي يمكن أن تنتج عنها هو أيضًا محدود. فإذا اجتمع هذان الشرطان، فإن كل ما يحدث في الكون لا بد أن يتكرر بطريقة مطابقة، لأن القوة مع الزمن اللامتناهي ستستنفد جميع إمكانياتها، فتعود فتنتج نفس الأحداث بنفس الطريقة التي حدثت من قبل. وهكذا يدخل الكون في دورات متكررة لا تنتهي، وتتكرر فيها الأحداث كما وقعت في السابق بجميع تفاصيلها بشكل أبدي .[2]

أما عن الوجه الفلسفي لفكرة العود الأبدي، فقد رأى نيتشه فيها خير وسيلة للتوفيق بين التفسيرين القديمين للعالم: على أساس التحول من جهة، وعلى أساس الوجود الثابت من جهة أخرى، بين هرقليطس والآليين، فناصر الأول فكرة التحول الدائم، وناصر الآخرون فكرة الوجود الثابت. وهذا يعني أن كل ما يحدث الآن قد حدث وسيحدث مرة أخرى إلى الأبد بنفس الصورة والتفاصيل، مما يُضفي على التحول طابعًا من الثبات الدوري. بهذا المعنى، تصبح الصيرورة نفسها نمطًا ثابتًا يتكرر، ويتحول التغيير إلى قانون ثابت يحكم الوجود. إن العالم في ضوء العود الأبدي ليس مجرد حركة غبية يتكرر فيها كل شيء بلا بداية ولا نهاية، وإنما يجمع بين مبدأي الثبات والتحول في وحدة متعالية.[3]

---

1 فؤاد زكريا، نفس المرجع، ص 141.

2 نفس المرجع، ص 142.

3 نفس المرجع،145.

والقاعدة الأخلاقية الأساسية التي يتبعها من يؤمن بالعود الأبدي هي: «عِش بحيث ترغب في الحياة الثانية»، وهي التي استبدلها نيتشه بقاعدة كانت القائلة: «افعل بحيث تصلح قاعدة سلوكك لتكون قانونًا عامًا يسري على الجميع». ولكن القاعدتين لهما نفس الهدف، وهو شعور الفرد بالمسؤولية.[1]

أما القيمة النفسية للعود الأبدي، فهي تمثل سيطرة النفس على الزمان، وتشعر بأكبر قدر من الحرية، على الرغم مما تتسم به الفكرة من تحكم تام للضرورة فيها. فأثقل قيد للنفس هو الزمان الذي انقضى، أي الماضي، الذي تحس إزاءه بأنها مغلولة عاجزة: «إن الإرادة العاجزة عن أن تريد ما مضى، وفي عجزها عن تحطيم الزمان، وجشع الزمان أساهها الأوحد...» وهنا تظهر القيمة النفسية في مدى قدرة الإنسان على التوافق التام مع الزمن، لا سيما الماضي، الذي يمثل أثقل شيء على النفس، لأنه لا يمكن تغييره، فالإرادة عاجزة عن تقبل كل ما حدث، وعدم تقبلها لما لا يمكن تغييره يجعلها تعيش في حالة حزن وعجز، إذ لا تستطيع تغيير ما مضى أو تحطيم الزمان. لكن من يتمكن من تقبل فكرة العود الأبدي، أي أن يقبل تكرار حياته بكل تفاصيلها إلى الأبد، يبرهن بذلك على قوة نفسية عظيمة. وهنا تظهر إرادة القوة في أسمى صورها، ليس فقط إرادة للسيطرة، بل إرادة تتقبل الوجود كما هو، بكل ما فيه من ألم.[2]

أراد نيتشه أن يثبت فكرة العود الأبدي إثباتًا علميًا متينًا، ولهذا يقول في هذا الصدد: "إن مجموع القوى الموجودة في الكون ثابت ومحدد، لأن المسألة لا تتعدى ثلاثة فروض:

أ- إما أن يكون هذا المجموع في زيادة مستمرة.

ب- إما أن يكون في نقصان مستمر.

ج- أو يكون ثابتًا.

1 نفس المرجع، ص 144.

2 صفاء عبد السلام، مرجع سابق، ص 389-390.

ويُلاحظ أن الفرض الأول غير صحيح، كما أن الفرض الثاني باطل، لم يبقَ إلا التسليم بأن مجموع القوى الكونية ثابت ومحدود ومتناهٍ، ومادام متناهيًا فإن مجموع الأحوال والتغيرات والتركيبات والتطورات التي تحدث في هذه القوى، أي أن الاحتمال الثالث هو الأصح، لأن وجود قوى ثابتة يعني أنه لا يوجد مجال للتغيير المستمر إلى ما لانهاية، سواء بالزيادة أو النقصان، وبالتالي فإن كل شيء يعيد نفسه مرارًا وتكرارًا، وهذا ما يعرفه نيتشه بالعود الأبدي".[1]

والفضيلة الجديدة التي تدعو إليها فكرة العود الأبدي هي "حب المصير". ففيها قبولٌ للحياة، لا عن استسلام، وإنما عن حب لكل أحوالها وتقلباتها، وإقبال على كل ما في الحياة من آلام ومتاعب، إذ إنها خالدة بدورها. وفي هذه الصفة، يكمن معيار للتفرقة بين نفوس الأبطال ونفوس الحائرين؛ فسوف تُبعث نظرة نيتشه هذه فيمن يحتقر الحياة وينصرف عنها يأسًا، قائلاً: لأن تلك الحياة، ومعها احتقاري لها، هي التي سوف تعود أبدًا، وبالتالي، يدعو نيتشه إلى تبني موقف إيجابي تجاه الحياة حتى في أشد لحظاتها، لأن من يحتقر الحياة لا يستحقها، فحب المصير يعني حب وقبول الحياة كما هي، بكل ما فيها من ألم وتعب، وليس الاستسلام لها، بل حبها والفرح بها حتى في أشد لحظات الحياة وأقساها وهنا يكشف نيتشه الفارق بين النفوس القوية (نفوس الأبطال) والنفوس الضعيفة (نفوس المتألمين). فالشخص القوي هو من يحب الحياة عندما تكون مؤلمة، ويحتضن كل ما تقدمه له من معاناة ومشقة، لأنه يرى فيها قوة ونموًا، بينما الضعيف، في نظر نيتشه، غير مؤهل للحياة. [2]

كما أن العودة الأبدية تعني أيضًا ديونيسوس المتعطش للحياة، الثمل بخمرة الوجود، الفَرِح فرحًا جنونيًا بقدرته على تنفس هواء الحياة والمتعة. غير أن ديونيسوس ليس ثملاً فقط، إذ إنه فنان كذلك، وفنان كبير أطلق العنان لجنون عبقريته ولنشوة الوجود.

1 نفس المرجع، ص 390.

2 زكريا، فؤاد، نيتشه، مرجع سبق ذكره، ص 144.

والجنون الخلّاق هو إذًا أحد أبعاد العودة الأبدية. غير أن ديونيسوس هذا يعي تمامًا أبعاد الوجود، فهو لا يستسلم لأوهام أفراح الحياة، بل يرضى – وهو متشائم – بمأساة الحياة. وهذه المأساة، التي قد تُرعب غيره، لا تخيفه؛ بل يتقبلها ببطولة وشجاعة.

فلا عودة، عنده، خوفًا منها. وبالتالي، فالعودة الأبدية هي اختيار لأقصى درجات الحب للوجود، وديونيسوس يمثل النموذج المثالي لقبول هذه الفكرة، فهو يخلق الجمال من الفوضى، ويحتفل بأقسى لحظات الحياة دون هروب أو إنكار. [1]

كما أن فكرة العود الأبدي تُعتبر أحد الحلول الأساسية التي يرى فيها نيتشه وسيلة لتخليص الحياة من النزعة العدمية ومن قيم الضعف.

فهي بمثابة إيتيقا للفعل والسلوك الإنساني، من حيث قابليتها للتطبيق العملي، حيث يتصرف الإنسان وكأن المصير المحتوم لأفعاله... هو أن يُعاد التاريخ بنفس الكيفية.

وبالتالي، فإن العود الأبدي يسمح لنا بأن ننظر إلى أفعالنا في الحياة وكأنها لن تكون نسيًا منسيًا. وهذا المبدأ يحوّل الحياة إلى اختبار وجودي، حيث يصبح القبول بالذات والأفعال شرطًا أساسيًا لخلق المعنى، مما يدفعنا إلى عيش حياة نختار فيها أفعالنا بعناية، كي نتمنى تكرارها. وهكذا، يصبح العود الأبدي ترياقًا للعدمية، لأنه يجبرنا على أن نعيش بصدق، وكأن كل لحظة هي الأبد نفسه. [2]

ويؤكد نيتشه أن فكرة العود الأبدي، باعتبارها اختبارًا وجوديًا صعبًا، لا يمكن تحمّله إلا إذا قمنا بقلب كل القيم الأخلاقية التقليدية، ذلك لأنها تمثل تحديًا لا يُحتمل في ظل تلك القيم.

ولذلك يرى أن أثر هذه الفكرة لا يمكن احتماله إلا إذا قمنا بـ"قلب القيم"، أي استبدال المنظومة الأخلاقية بأخرى جديدة تمجّد إرادة القوة.

---

1 زيناتي، جورج، رحلات داخل الفلسفة الغربية، ط1، بيروت، لبنان: دار المنتخب العربي، 1993، ص 116.

2 عبد اللطيف، نبيل، مرجع سبق ذكره، ص 59.

فالإنسان الحقيقي، في نظر نيتشه، لا يتحرك بدافع البقاء، بل بإرادة القوة، أي إرادة التجاوز والارتقاء.

وفي هذا السياق، تصبح فكرة العود الأبدي ليست لعنة، بل مقياسًا لقدرة الإنسان على أن يتقبل تكرار الحياة.

وهذا ما نجده في قوله:

"إنها فكرة عملية وصعبة: أثرها محتمل ما لم يتم اتخاذ إجراءات وقائية، أي ما لم يتم قلب كل القيم.

وسيلة دعمها قلب كل القيم ليست اللذة الناجمة عن اليقين، بل عن اللايقين:

ليس 'السبب' و'النتيجة'، بل الخلق الدائم.

ليست إرادة البقاء، بل إرادة القوة.

ليس ذلك التعبير الوضيع القائل: (كل شيء ذاتي)، بل إنه عملنا نحن كذلك! فلنكن فخورين به!" [1]

1 نيتشه، فريديريك، إرادة القوة: محاولة لقلب كل القيم، ترجمة: محمد ناجي، المغرب، 2011، ص 300.

الخلاصة

إن بناء الذات في عالمٍ فقدَ قيمه التقليدية، وبعد انهيار المرجعيات الكبرى والتحرر من الإرث الأخلاقي والديني، لا يترك أمام الإنسان سوى خيارٍ واحد: أن يصبح هو ذاته مبدعًا للقيم، وخالقًا لها، ومعيارًا للقوة.

فالفرد، وفق تصور نيتشه، مدعوٌّ لأن يصوغ قيمه من الداخل، انطلاقًا من دافعه الحيوي المتمثل في "إرادة القوة"، بوصفها الطاقة التي تعيد تشكيل القيم وتؤسس لعالم جديد. ومن هنا تبدأ رحلة البناء عند نيتشه، من خلال دعوته إلى "أخلاق السادة" التي تعبّر عن روح التفرد والتمرد على كل القيم الجاهزة والجامدة.

هذه الأخلاق تتجاوز حدود المنظومات التقليدية، لتُعلن سيادة الفرد الخلّاق، الذي ينتج قيمه الخاصة ولا يرتهن لأي سلطة خارجية. وفي هذا الإطار، يبرز مفهوم "الإنسان الأعلى" كرمز لهذا الفرد المتحرر، الذي تجاوز التقاليد وأعاد تشكيل وجوده وفقًا لإرادته وقوته الخاصة.

أما "العود الأبدي"، فيُمثّل في فلسفة نيتشه اختبارًا صارمًا لقبول الحياة بكل ما فيها من ألمٍ وفرح، إذ يضع الإنسان أمام تحدي أن يعيش وكأن أفعاله ستتكرر إلى ما لا نهاية، مما يفرض عليه أن يحيا بصدق، ويختار أفعاله بعناية.

وبهذا، يقدم نيتشه رؤية جديدة لإعادة بناء القيم على أسس تتجاوز المطلقات السابقة، وتعتمد على الفرد الخلّاق، لكن هل تؤدي دعوة نيتشه إلى إعادة بناء الذات وابتكار القيم إلى مشروع إنساني قابل للتحقق، أم أنها تفتح الباب أمام فوضى قيمية لا ضابط لها؟

الفصل الثالث: رؤية نقدية ومآلات المشروع النيتشوي

المبحث الاول: النيتشوية بين التلقي الغربي والتفاعل العربي

المطلب الأول: امتداد النيتشوية في الفكر الغربي

المطلب الثاني: حضور الفكر النيتشوي في الخطاب الفلسفي العربي

المبحث الثاني: قراءة تحليلية نقدية

المطلب الأول: تقييم افكار نيتشه

المطلب الثاني: نقد افكار نيتشه

تمهيد:

تُعدّ الفلسفة النيتشوية من أبرز التيارات الفكرية التي أثّرت بعمق في الفكر الغربي الحديث، إذ شكّلت رؤية نقدية جذرية لقيم العصر وللأخلاق التقليدية، مما أفضى إلى امتداد تأثيرها في ميادين متعددة من الثقافة الغربية. وعلى الرغم من هذا الامتداد الواضح، لم تكن فلسفة نيتشه محلَّ إجماع، بل انقسم المتلقّون بشأنها بين مؤيد يرى فيها طرحًا بنّاءً يُجدد الفكر ويحرر الإنسان، ومعارض يعدّها مثيرة للجدل ومهددة للأسس الأخلاقية والاجتماعية. وقد رافق هذا الانقسام نقاشٌ نقدي موسّع تناول مدى قدرة فلسفة نيتشه على تجاوز الأزمات الفكرية والاجتماعية أو تعميقها أحيانًا.

وفي المقابل، لم يقتصر تأثير نيتشه على الفضاء الغربي فحسب، بل تجاوزه إلى الفكر العربي، حيث برز حضور فلسفته في الخطاب الفلسفي والثقافي، متفاعلةً مع السياقات المحلية، ومتسائلةً عن مصير القيم والذات في ظل التحولات المعاصرة.

لذا، فإنّ دراسة امتداد النيتشوية في الفكر الغربي، مع الوقوف عند نقدها وتقييمها من مختلف الاتجاهات، واستجلاء مآلاتها في الخطاب العربي، تمثّل خطوة أساسية لفهم مدى استمرارية هذه الأفكار، وقدرتها على التفاعل مع البيئات الفكرية والثقافية المختلفة.

المبحث الأول: النيتشوية بين التلقي الغربي والتفاعل العربي

المطلب الأول: امتداد النيتشوية في الفكر الغربي

إنّ تأثير نيتشه في تزايد مستمر، وهو تأثير لم يظهر في حياة الفيلسوف، بل ظهر قوياً بعد وفاته؛ فقد تنبأ بأنه سيكون استثناءً في يوم من الأيام، وكُرّست كراسات جماعية خاصة من أجل دراسة كتابه "هكذا تكلم زرادشت"، وهي نبوءة تحققت ضد جميع التوقعات. ففي أوائل القرن العشرين، كان "زرادشت" من دون ريب المؤلف الأشهر في ألمانيا. ونظراً لأن النيتشوية ليست عقيدة رسمية، فقد احتفظت بشهرة الفلسفة النقدية المستقلة التي تسمو فوق غرور النزعات النظرية، والإيديولوجية، والسياسية.[1]

ولقد شارك نيتشه فعلياً في عملية قلب الميتافيزيقا الغربية، حيث قلبها من ميتافيزيقا الوجود إلى ميتافيزيقا العقل بعد موت هيغل، إلى ميتافيزيقا الجسد والإرادة والدوافع، فأثر على تيارات عديدة من فلسفة الحياة، إلى فلسفة الوجود، إلى علم التحليل النفسي مختلف.[2]

وقد شكّلت فلسفة نيتشه منبعاً أساسياً للأفكار التي طوّرها الفلاسفة الوجوديون لاحقاً، لاسيما أعمال هايدغر، حيث نجده قد استلهم فكرة "الوجود الزائف" من نيتشه، وضرورة الخروج من القيود الاجتماعية وبلوغ "الوجود الأصيل". فعلى الرغم من أنّ هايدغر يركّز على الوجود العام، إلا أنّه يبدأ بالفرد باعتباره مدخلاً للوجود العام. وعلى الرغم من أنه يؤكد أن الإنسان موجود في العالم مع الآخرين وليس منعزلاً عنهم، إلا أنه يرى أن الحياة اليومية تفقد الذات استقلالها ووجودها الحقيقي، فالحياة وسط الآخرين تُشكّل تهديداً لوجودنا الحقيقي، وهو هنا يقترب من نيتشه. فلكي يوجد الإنسان وجوداً حقيقياً، ولكي لا يظل في مجال المرئيات والأدوات المستعملة، لا بد من نبذ الوجود الزائف، والضغط الاجتماعي، يشير هايدغر إلى أن الحياة اليومية وسط الآخرين يمكن أن تفقد الذات استقلالها وتغطي على وجودها الأصيل، وهو ما يتوافق مع نيتشه في نقده للقيم التقليدية والقطيعة التي

1 عطية، أحمد عبد الحليم، نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، الفكر المعاصر – سلسلة أوراق فلسفية، ط1، بيروت: دار الفارابي، 2010، ص 7–8.

2 جعفر، صفاء عبد السلام علي، مرجع سبق ذكره، ص 8.

تُفرض على الفرد وتفقده قيمته. كما أن هايدغر يؤكد على الوجود الحقيقي وتجاوز الوجود الزائف، وهو يشبه نيتشه في دعوته إلى تجاوز القيم السائدة لتحقيق الذات الفردية، فكلاهما يرى أن الضغط الاجتماعي يشكل تهديداً للوجود الأصيل، وأن التحرر منه ضروري. لذلك، أفاض فلاسفة الوجودية في تناول فلسفة نيتشه واستلهامها وتقديم قراءات متنوعة حولها، ومنهم هايدغر، الذي تُعد قراءته أساس فلسفات ما بعد الحداثة، والذي حلل فلسفة نيتشه في دراسات متعددة، أوّلها: "كلمة نيتشه عن موت الله" (1944)، والتي نُشرت في كتابه "المتاهات" (1950)، و"من هو زرادشت نيتشه؟" في محاضرات ومقالات (1945)، وكتابه عن نيتشه في جزأين (1961).[1]

أما اهتمام هايدغر في قراءاته لنيتشه فيتمثل في اعتباره آخر الميتافيزيقيين العظام، وإن كان نيتشه نفسه قد سعى جاهداً إلى تقويض الميتافيزيقا، وظلّ في الوقت نفسه ميتافيزيقياً.[2]

وقد حوّل هايدغر فكرة النقد الأخلاقي عند نيتشه إلى تحليل أنطولوجي للوجود البشري [3].

إذا كان نيتشه يرى أن الصراع هو الوسيلة المتاحة للتحرر من هيمنة الآخرين، فإن هايدغر يرى بأن الفرد، كلّما تحرر من الآخرين، وجد نفسه مضطراً للعودة إليهم خوفاً من الموت؛ إذ يجد فيهم الأمان. فحيث يرى نيتشه أن الإرادة هي صراع متصاعد مع إرادات أخرى مضادة، فإن هايدغر يرى تفرد "الدازاين" في حقيقة أنه لا بد أن يكون دائماً "مع" وليس "ضد". وكما أن الهروب إلى الماضي يهدئ من روعنا وقلقنا، إلا أنه يقطعنا عن المستقبل والحاضر معاً. وهكذا، فالإنسان يعيش باعتباره وتراً مشدوداً بين الماضي والمستقبل. لذلك، قد استلهم هايدغر من نيتشه فهماً وجودياً للإنسان يقوم على التوتر والصيرورة، لكنه أعاد توجيه هذا الفهم من منطق الصراع إلى منطق الكينونة الأصيلة. ففي حين يرى نيتشه أن الإنسان يتحدد بإرادة القوة، فإن هايدغر يرى أن تفرد الإنسان (الدازاين) يتحقق في الانفتاح على الوجود مع الآخرين، رغم ما في ذلك من قلق ومفارقة.[4]

---

1 عطية، أحمد عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص 280.

2 نفس المرجع، ص 275.

3 الكحلاني، حسن، الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2004، ص 131.

4 نفس المرجع، ص 140.

كما يقرّ هايدغر بأن يضع الإنسان نفسه دائماً في مشروع، فهو كائن يتجه دائماً نحو إمكانية، فالإنسان هنا كائن فاعل وليس كائناً متأملاً، وهو يحقق ذاته وإمكانه الحقيقي. يقول: "إن الوجود–هناك يصير بأن يتعالى على التواجد، إن ماهية الموجود–هناك هي التجاوز". إنّ نقطة الالتقاء بين نيتشه وهايدغر هي العدمية السائدة في أوروبا، حيث يعيش الإنسان – حسب تصورهما – حالة اغتراب عن ذاته ووجوده حين يعيش وسط الجمهور، وفي رحمة القوانين الآلية، والرأي العام، والوحي الزائف. والحل يكمن في تجاوز هذا الوضع المأساوي للإنسان.[1]

يرى هايدغر – في سياق تأمله لفكر نيتشه – أن الإنسان المتفوق في زمننا لم يعد فرداً بطولياً كما تصوّره نيتشه، بل أصبح صورة جماعية متمثلة في أولئك الذين يقرّرون القوانين ويصنعون القيم العليا. وهذا يدلّ على أن هايدغر فهم إرادة القوة بوصفها مبدأً جماعياً يؤسس للعصر الحديث، حيث يتحوّل الإنسان إلى منظم للوجود وموجه له من خلال التقنية والعقل الأداتي. وانطلاقاً من هذا الفهم، دعا هايدغر إلى ضرورة وجود "لجنة فكرية" أو "فلاسفة جدد" يستلهمون نيتشه، لا ليكرروا أفكاره، بل ليسلكوا نفس الدروب التي سلكها في قلب القيم وإعادة النظر في الأسس التي قامت عليها الميتافيزيقا الغربية، بحثاً عن أفق جديد للتفكير في الوجود.[2]

كما نجد أيضاً أن فلسفة نيتشه قد أثارت اهتمام فوكو، حيث نجد أن هناك عدة لقاءات جمعت بين نيتشه وفوكو. اللقاء الأول يتعلق بمفهوم "إرادة السلطة"، فهي عند فوكو كالـ"قوة" عند نيتشه، لا تُختزل في علاقة عنف. حيث رأى نيتشه أن المعرفة ليست بريئة، بل ترتبط بإرادة القوة، فقام فوكو بتطوير هذه الفكرة ليقول إن المعرفة مرتبطة دوماً بالسلطة، وإن كل خطاب معرفي يحمل في داخله علاقات قوة. أما اللقاء الثاني، فيتعلق بأطروحة "موت الإله"، والتي تعني عنده موت شكل محدد من تصورات الإنسان، أي حدّه من صورته القصوى في النزعة الإنسانية، كأثر ميتافيزيقي لتجربة الحداثة وفكر الأنوار. فنيتشه رفض فكرة الذات الثابتة، ودعا إلى تجاوز الذات

1 الكحلاني، حسن، مرجع سبق ذكره، ص 137–138.

2 عطية، أحمد عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص 138.

نحو "الإنسان الأعلى"، وكذلك فوكو، انتقد مفهوم الذات المستقرة، وبيّن كيف تتشكل الذات عبر الخطابات والنظم الاجتماعية.[1]

أما اللقاء الثالث، فقد تحدد في علاقة الحياة بالإبداع، مثل "التحول النفسي الخلاق"، حيث تصبح الحياة ذات علاقة وثيقة بالإبداع والابتكار، وهو ما يعبر عنه نيتشه بأن الفن سبيل لمقاومة السلطة والمعرفة وابتكار ذات جديدة. وبالتالي، فإن فوكو وسّع وطبّق كثيراً من أفكار نيتشه.[2]

كما أن التقارب بين وجهات النظر بين كل من فرويد ونيتشه من الناحية النفسية قد جعل فرويد يعترف بنيتشه وقوة تأثيره. حيث يرى فرويد أن نيتشه كان يتمتع بفهم عميق لنفسه وللطبيعة البشرية بشكل عام، بحيث أن رؤيته وتنبؤاته حول النفس البشرية كانت متطابقة بشكل مدهش مع النتائج التي توصل إليها التحليل النفسي لاحقاً. وقد قال فرويد عن نيتشه في أكثر من موضع: "إنه يعرف نفسه معرفة ثاقبة أكثر من أي إنسان آخر عاش أو من المحتمل أن يعيش"، كما لاحظ أن تنبؤات نيتشه تتفق على نحو مدهش مع نتائج التحليل النفسي بعد كثير من عناء.[3]

وقد اعترف فرويد بأن كتابات نيتشه تنطوي على نظرات حدسية، حيث يجتمعان على ما يلي:

التصور الدينامي للنفس، مع تصورات أخرى مرتبطة به كالطاقة النفسية، ومقادير الطاقة الكامنة أو المعوقة، وتحويل الطاقة من دافع إلى آخر. فكلاهما يعتبر أن النفس ليست جوهراً ثابتاً، بل بنية متحركة، ويؤكدان أن النفس تحتوي على طاقة نفسية يمكن أن تتحول من دافع إلى آخر، مثل انتقال الرغبة الجنسية إلى طموح فكري أو فني، وهو ما يُعرف بتحويل الطاقة النفسية.[4]

---

1 نفس المرجع، ص 277.

2 نفس المرجع، ص 277.

3 كامل، فؤاد، مرجع سبق ذكره، ص 192.

4 عطية، أحمد عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص 54.

تصور النفس كنظام من الدوافع المتصارعة أو المنسجمة؛ فالنفس ليست كياناً بسيطاً، بل مسرحاً لتفاعلات بين قوى متضادة، كما في "إرادة القوة" عند نيتشه، أو بين "الهو والأنا والأنا الأعلى" عند فرويد. ويُظهر هذا التصور أن الهوية الفردية ليست معطى جاهزاً، بل نتيجة تفاعل مستمر بين قوى داخلية متحركة.[1]

تقدير أهمية الدافع الجنسي، وإن لم يجعله نيتشه الدافع الأول كما فعل فرويد، فإنهما يتفقان على أنه تعبير عن قوى أعمق كإرادة القوة أو غريزة الموت [2]

المطلب الثاني: حضور الفكر النيتشوي في الخطاب الفلسفي العربي

يرى نيتشه أن المفكرين أو العباقرة الذين يسبقون عصرهم – مثل نفسه – سيواجهون سوء فهم من قبل معاصريهم، بينما سيكون لهم تأثير أكبر وأكبر تقديرًا من قبل الأجيال القادمة، حيث يعترف نيتشه بأن أفكاره لن تُفهم أبدًا بشكل تام، وهذا بالضبط ما يمنحه قوته وسلطته الفكرية، فعدم الفهم هذا يجعله حرًا من قيود التقاليد والأفكار السائدة، ويسمح له بتحدي المفاهيم المقبولة دون الخوف من النقد أو الرفض المباشر، بمعنى آخر، إنه غير خاضع لمقاييس عصره، ومن كونه صوتًا يتردد صداه في المستقبل، حيث سيكون هناك من يستمع إليه بتقدير أكبر، حتى وإن بقي غامضًا أو ثوريًا في زمانه، وهذا ما نجده في قوله: "الرجال الذين سيولدون بعد الممات – أنا على سبيل المثال – سيساء فهمهم أكثر من المطابقين لعصرهم، لكنه سيسمع إليهم بصفة تفضل، ولنقلها بأكثر صرامة: لن يُكتب لنا أن نُفهم البتة؛ – من هنا تكون سلطتنا....." .[3]

ومن هنا يمكننا القول إن نيتشه شنّ حربه على الفكر الأوروبي بسبب الأخطار التي تهدد الحضارة من ضعف وانحطاط، وبهذا المنطلق يمكن فهم أن الفكر العربي والأمة العربية التي تعاني من الضعف والتخلف تحتاج إلى استجابة نيتشوية تمثل ثورة ضد كل مظاهر العنف والانحطاط، ودعوة صريحة لامتلاك القوة والسعي نحو السيطرة والارتقاء. انطلاقًا من هذا، نجد أننا ما أحوجنا نحن في وطننا العربي لأن نصنع قيم القوة ونمارس فعلها،

1 نفس المرجع، ص 55.

2 نفس المرجع، ص 55.

3 نيتشه، فريدريك، غسق الأوثان، ترجمة: علي مصباح، ط1، بيروت، لبنان: منشورات الجمل، 2010، ص 14.

أما حالنا الآن فإنه يُمجّد أخلاق الضعف، فنحن نشجب القوة وندينها، وندعو إلى السلم والاستسلام، ندعو الأقوياء أن يتخلوا عن جبروتهم ليكونوا ضعفاء مثلنا، علينا أن نبحث عن القوة وعن ممارسة إرادة القوة. وهنا نفس لوضع العالم العربي حاليًا، وأنه يُمجّد الضعف بدلًا من القوة، فعوضًا من السعي إلى امتلاك القوة وممارستها بشكل أخلاقي، نستنكر القوة وندينها، ونكتفي بالدعوة إلى السلام، التي قد تُفهم أحيانًا على أنها دعوة للاستسلام.[1]

ومن بين أسباب ضعفنا في الوطن العربي هو حلمنا بالسلام، ودعوتنا للمساواة مع أعدائنا، إذ نستجدي منهم السلام، ونطلب منهم التنازل عن قوتهم، وهذا التفكير غير منطقي وغير واقعي، إذ يُفترض أن نسعى لامتلاك القوة ونمجد الصراع ونسعى للتفوق، ونأخذ حقوقنا كما أُخذت منا، بالوسيلة نفسها، وبالصراع والتنافس، فالصراع أبو الأشياء جميعًا كما قال هيراقليطس.[2]

فلقد نمت الروح الانهزامية، فحاربنا قوي الإرادة فينا، وأصبحنا نتهمه بالتسلط والدكتاتورية، لأننا نريد حكّامًا ضعفاء وجبناء، أما قوي الإرادة الذي يود بناء دولة قوية ويمهد لحضارة جديدة، فنحاربه لأننا ضعفاء، نخاف القوة ورموزها، ونحن أكثرية تُهزم بالتجمع وهذا التفرد والتمرد..... حتى الديمقراطية أسأنا استخدامها، فكانت وسيلة لقهر الأفراد المجددين لروح الحضارة، بدلًا من جعلها وسيلة لتنمية هذا الاستثناء.[3]

إن هذه الأفكار التي تستلهم روح نيتشه الفلسفية، قد لقيت أصداءً عميقة لدى عدد من المفكرين والفلاسفة في العالم العربي، ممن كان لهم دور ريادي في تشكيل الفكر العربي المعاصر، من بينهم "نديم البيطار"، حيث استلهم الكثير من أفكاره القومية عن نيتشه، حيث يبدو ذلك بجلاء من خلال تأكيده على أن: «جمهرة من الناس، وأكثريتهم في كل مجتمع من المجتمعات، هي كائنات جامدة كالدمى وغير خلاقة، وتكتفي باتباع العادات الجارية والتقاليد السائدة، فهي ذات نفسية تقليدية تُجاري ما تجده وما يتوفر لها من نظم. أما الخلق والإبداع فهما دائمًا من عمل فئات، وأقلية ضئيلة تجابه أزمات التاريخ وتقود المجتمعات في أحوج أزماتها». وبالتالي، فغالبية الناس

1 كحلاني، حسن، مرجع سبق ذكره، ص 82.

2 كحلاني، حسن، نفس المرجع، ص 110.

3 نفس المرجع، ص 124.

يعيشون وفق العادات والتقاليد المتوازنة دون تفكير أو إبداع، ويصف هذه المجتمعات بأنها "جامدة كالدمى"، بمعنى أنها لا تُنتج شيئًا جديدًا، بل تكرر ما اعتادت عليه. وفي المقابل، يُشاد بالفرد المبدع الذي يتمرد على هذا السلوك الجمعي، ويشق طريقه الخاص، وهنا نقطة تقاطع بينه وبين فكرة نيتشه، الذي يحتفي بالإنسان الأعلى، الذي يتجاوز القيود السائدة، ويخلق قيمه الخاصة بدلًا من الاعتماد على القطيع والتقليد.[1]

انطلاقًا من هذا، يتبين لنا مدى توافق الرؤى بين نيتشه وبين نديم البيطار، أحد رواد القومية العربية، حيث يؤكد أهمية الأفراد المبدعين في قيادة الجماهير للنصر والتقدم، إذ يؤكد ذلك بقوله: "إن كل مرحلة انتقالية تولد عددًا محددًا من الأنفس..... ولا يمكن إنكارها". وهنا يظهر التلاقي العميق بين الفكر القومي العربي ذو الطابع الثوري وفلسفة نيتشه، خصوصًا في تأكيدهما على دور الفرد الخلاق في إحداث التحول الحضاري، فكل مرحلة انتقالية في التاريخ لا تُثمر إلا بظهور أفراد استثنائيين يمتلكون طاقات فكرية ووجدانية عالية، يهبون أنفسهم بإخلاص لإمكانات التجديد. ومن هنا، فإن الفعل الثوري والتجديد الحضاري لا ينبعان من الجماهير العادية، بل من نخب مبدعة تمتلك رؤية وقدرة على الفعل، وتؤمن بمشروع التحول، حتى حدود التضحية.[2]

أما فرح أنطون، فكان من أوائل المفكرين الذين اهتموا بنيتشه، ويظهر ذلك جليًا من خلال أنه قام بكتابة، منذ العام 1904، مقالًا حول فلسفة نيتشه، وكان أحد العناوين الفرعية من مقالاته عن نيتشه: "فيلسوف لا يعرف اسمه قراء اللغة العربية، ولكنهم أثار مبادئه وفلسفته في كل شيء حولهم وفي كل مكان".[3]

إن نهضة الشرق تحتاج إلى أفكار جديدة تدعو إلى الحياة، ولابد من الأخذ بأفكار نيتشه، حيث يقول: «إن ما يحدث في أوروبا مشابه لما يحدث في الشرق، الذي يحتاج أبناؤه إلى أفكار نيتشه»، ويضيف: «مازلنا نعتقد بما جهرنا به من سنتين، يوم شرعنا لأول مرة في تلخيص فلسفة نيتشه، وهو أن مبادئ هذا الرجل تحتوي على كثير من الحقائق الضرورية للحياة، وعلى أبناء الشرق أن يطلعوا عليها ليشددوا نفوسهم بها». وهنا إشارة إلى أن

1 نفس المرجع، ص 91.

2 نفس المرجع، ص 91..

3 مفرك، جمال، الإرادة والتأويل: تغلغل النيتشوية في الفكر العربي، ط1، 2009، ص 83.

فرح أنطون يُشبّه بين ما حدث في أوروبا وبين ما يحدث في الشرق، وبالتالي، فالشرق بحاجة إلى أفكار نيتشه، حيث إن هذا الأخير يحتوي على مبادئ مهمة وضرورية للحياة، ولابد من أبناء الشرق أن يطلعوا عليها حتى تقويهم نفسيًا وروحيًا.[1]

ومن بين تلك المبادئ: قوة النفس، وحماسها لتحبيب الحياة والنشاط والقوة إلى الناس، وخلقهم وبهذه الصفات خلقًا جديدًا، أو سحق الانحطاط في النفوس والهمم والأمم. كما أنها تحتوي على كثير من المبادئ التي لا نرى الآن موضعًا لها في الشرق، وهو يدعو إلى أن يتخذ أبناء الشرق من تلك المبادئ.[2]

أما عبد الرحمن بدوي، فقد امتص نيتشه بعناية خاصة في دراساته، إذ أفرد له فصلًا مستقلاً تناول فيه أبرز مفاهيمه الفلسفية، والذي كان بعنوان "نيتشه". ولعلّه بالإمكان توضيح مدى تأثر بدوي بالروح النيتشوية من خلال تقديمه الذي يؤكد فيه على أنه: "إذا كانت الحرب الماضية قد هيأت الفرصة لهذا الوطن كي يثور ثورته السياسية، فلعلّ هذه الحرب الحاضرة أن تكون فرصة تدفعه إلى القيام بثورته الروحية. فليس من شك في أن هذا الوطن في أشد الحاجة إلى ثورة روحية على ما أَلِفَ من قيم، وما اصطلح عليه حتى الآن من أوضاع، في أشد الحاجة إلى أن يطرح هذه النظرة القديمة في الوجود وفي الحياة، كي يضع مكانها نظرة أخرى كلها خصب، وكلها قوة، وكلها حياة، وفيها إيمان بإمكان خلق جيل من أبنائه عظيم". وهنا يتجلى تأثير نيتشه في عبد الرحمن بدوي من خلال دعوته إلى ثورة روحية شاملة، تتجاوز التغيير السياسي السطحي، وهي فكرة محورية في فلسفة نيتشه، فكما دعا نيتشه إلى قلب القيم التقليدية، ونقد الأخلاق السائدة التي تمثل في رأيه أخلاق الضعف والانحطاط، يدعو بدوي هنا أيضًا إلى تجاوز النظرة القديمة في الوجود وفي الحياة، واستبدالها برؤية جديدة تقوم على القوة والحياة، وهي مفاهيم نيتشوية بامتياز. كذلك يشير بدوي إلى ضرورة "خلق جيل من أبنائه عظيم"، وهو ما يذكّر بمفهوم الإنسان الأعلى عند نيتشه، القادر على إعادة بناء القيم من داخله، وعلى أساس إرادة القوة والإبداع.[3]

1 عطية، أحمد عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص 10.

2 نفس المرجع، ص11.

3 مفرك، جمال، مرجع سبق ذكره، ص 86.

وبالتالي، فنيتشه حاضر بقوة في مشروع وأفكار عبد الرحمن بدوي وأفكاره ومصطلحاته، فكلمات: "قيم"، "قوة"، "حياة"، "خلق جيل عظيم" لدى بدوي، تقابل "تحطيم ألواح القيم القديمة" و"خلق ألواح قيم جديدة"، "إرادة القوة"، "السمو"، "السوبرمان"، وهذه المصطلحات تشكل – على ما يُعلم – جوهر فلسفة نيتشه.[1]

ويبدو أن شدة التأثر هذه قد عبّر عنها بصدق فؤاد زكريا في كتابه "نيتشه"، بقوله: «فلنذكر له دائمًا هذا الفضل، وهو أنه فتح أمامنا سُبل التجديد في فهمنا العقلي للعالم، وسلوكنا فيه، وذلك حين مجّد قدرتنا الإنسانية على الخلق والإبداع، وأزاح كل ما كان يقف أمام فاعلية الإنسان من عقبات».[2]

المبحث الثاني: قراءة تحليلية نقدية

المطلب الأول: تقييم أفكار نيتشه

لاقى نيتشه صدى واسعًا بين الفلاسفة، مما دفع البعض إلى تقييمه. ومن بين هؤلاء نجد هايدغر، الذي لم يتخذ من نيتشه موقفًا نقديًا بالمعنى التقليدي، بل يمكن وصف موقفه بالتقييمي، خاصة فيما يتعلق بفكرة "موت الله"، حيث يقر هايدغر أن هجوم نيتشه على "الله" في نظره هو هجوم على الإله الأخلاقي المسيحي الذي تصوّرته المسيحية، والإله باعتباره قيمة، ليس إلهًا في الحقيقة. ومنه، فالله لم يمت كما أعلن نيتشه، ولهذا كان هايدغر يرفض أن يكون الله موجودًا من الموجودات، أو علّة، أو شخصًا، بل الكينونة هي ما تحتاج إليه الآلهة. وتلك الفكرة عن الإله جعلت هايدغر يرفض أن توصف فلسفة نيتشه بالإلحاد، وقد صرّح أن فكرته عمومًا تحمل بُعدًا للقداسة. وبالتالي، نجد هذه النقطة تمثّل اتفاقًا بين نيتشه وهايدغر، بحيث إن هايدغر يقر بأن ما جعل نيتشه يرفض الإله هو تصوّر جاء نتيجة رفضه للقيم التقليدية، وبالتالي أعلن عن موت الإله كمركز لانهيار القيم المطلقة التي كانت سائدة. وهنا يعلن هايدغر أن نيتشه أصاب حين فضح الإله الأخلاقي كأداة قمع. [3]

1 نفس المرجع، ص 87.

2 كامل، فؤاد، مرجع سبق ذكره، ص 192–193.

3 عليوة، عبد الغاني، "نقد هايدغر للميتافيزيقا عند نيتشه"، جامعة سطيف، المجلد 15، العدد 28، 2018، ص 199.

كما يقر أن فكرة إرادة القوة تُعد خطوة جديدة في تطور الفلسفة الأوروبية، بالرغم من احتفاظها بالفكر الفلسفي في حدود الميتافيزيقا. ويقول هايدغر إن نيتشه يفهم الطابع الأساسي للكينونة من حيث هي إرادة القوة، فليس ذلك اختراعًا أو نزوة لرجل خيالي ينحرف عن الطريق الرئيسي، بل تلك تجربة المفكر الأساسي، وإن الكينونة بأسرها إرادة قوة. أي أن نيتشه لم يأتِ بفكرة إرادة القوة كنوع من الخيال أو الانحراف عن الفكر الفلسفي، بل إن هذه الفكرة تمثل تطورًا عميقًا في مسار الفلسفة الغربية، كما أنها تعبير عن تجربة فلسفية عميقة، لكنها في الوقت نفسه لا تزال حبيسة الميتافيزيقا في نظر هايدغر. [1]

ومن هنا تبرز أيضًا العديد من التقييمات الأخرى، من بينها أن نقد نيتشه للدين، خصوصًا النصرانية، هو نقد صحيح ومقبول إذا كان المقصود به الدين كما يعيشه الإنسان الحديث، لأن هذا الدين قائم على قيم وقشور باطلة. وهذا يعني أن نيتشه ينتقد الدين المسيحي كما يُمارس في العصر الحديث، حيث تحوّل – حسب نيتشه – إلى ممارسات سطحية لا تعكس القيم الحقيقية. وبناءً عليه، فإن نقده صحيح لأن هذا الدين أصبح مليئًا بالقيم الضعيفة التي تخدم الضعف، وهي قيم باطلة لا صحة لها. [2]

كما أن الأخلاق التي انتقدها نيتشه تستحق النقد. والحق أن العيوب التي أخذها نيتشه على أخلاق عصره هي في عمومها عيوب حقيقية، وليست مجرد انتقادات خلقها خياله. وإذا كان المجتمع الأوروبي اليوم لا يشعر بتلك العيوب بنفس الوضوح، فذلك لأن الفترة التي انقضت بعد نيتشه، على قصرها، كانت فترة حافلة بالثورة والتجديد. وبالتالي، فإن العيوب التي رآها نيتشه في الأخلاق التقليدية هي عيوب واقعية وليست تصورات ذاتية، وإن بدا الآن أنها لم تعد موجودة كما كانت سابقًا، فإنما ذلك لأن فكر نيتشه أثّر وأدى إلى تغيّرات جديدة جعلت تلك العيوب تتراجع. [3]

1 عليوة، عبد الغاني، نفس المرجع، ص 195.

2 ربيع، ميمون، مرجع سبق ذكره، ص 98.

3 زكريا، فؤاد، مرجع سبق ذكره، ص 105.

فمن المؤكد أن الأخلاق الفلسفية الموروثة عن المذاهب العقلية التقليدية كانت تُوغِل في التجريد وفي اقتلاع الإنسان من التربة التي أنبتته في هذا العالم، حتى أصبحت الدعوات الأخلاقية تتنافس في خلق إنسان تجريدي يكاد يكون غريبًا عنا تمامًا. فالفيلسوف إذن له كل الحق في أن ينقذها، ويحمل على ادّعائها السمو بالإنسان، مع أنها في الواقع تُبعِده عن واقعه الحي. بمعنى أن الأخلاق التقليدية تُبعِد الإنسان عن الواقع الملموس لأنها تعتمد على مفاهيم مجردة مثالية لا تنبع من الحياة اليومية، فهي تسعى إلى خلق إنسان تجريدي ذو تصور مثالي لا يشبه الإنسان الحقيقي. بمعنى أن غاية هذه الأخلاق هي رفع مقام الإنسان والسمو به، لكن في حقيقة الأمر تفصله عن ذاته وواقعه الحقيقي. وبالتالي، فإن نيتشه له كل الحق في أن ينتقد هذا النوع من الأخلاق بل ويحاول إنقاذها من هذا التناقض، فهي تدّعي الارتقاء بالإنسان لكنها في الواقع تُقصيه عن جذوره وواقعه الحي.[1]

كما يتبين أن فكرة العود الأبدي لديه تعلو فوق كل الأفكار، إذ تعتبر القمة المخيفة التي تنتظره بالسعادة أو بالجنون. وقد صرّح نيتشه أن هذه الفكرة جاءت بالوحي والإلهام، وهبطت عليه فجأة وبدون إعداد سابق، فاستولت على كل فكره، وكانت نورًا وهاجًا يُضيء الأشياء من جديد، ويُضفي على الحياة قيمًا جديدة ودلالات جديدة. ويكشف ذلك كله عن معنى الخُلو الصوفي في فكرة العود الأبدي، حتى إن هايدغر نفسه وصف تجربة العود الأبدي بطريقة شبه صوفية. وبالتالي، فإن هذه الفكرة عند نيتشه فكرة مركزية تعلو فوق كل أشكال الشك، إذ تمثل عنده فكرة عظيمة جدًا، حتى أنه اعتبرها نوعًا من الوحي أو الإلهام، أي أنها جاءت إليه بشكل عميق ومؤثر، وليست كفكرة عادية. كما أن هذه الفكرة عند نيتشه تعني أن يرى الحياة وكأنها تُعاد من جديد بكل ما فيها، ويرى في هذا المعنى قدرة على خلق قيم جديدة ونظرة جديدة للحياة، كما أنها فكرة جد عميقة. [2]

كما نجد جيل دولوز يعيد النظر في مفهوم إرادة القوة، حيث يقول: «ماذا تعني إرادة القوة؟» بوجه خاص، لا تعني الإرادة تريد القوة، أي أنها ترغب في القوة أو تبحث عنها كغاية، كما لا تعني أن القوة هي الدافع إليها. ليس ثمة عبثية في عبارة "الرغبة في القوة" أقل مما في عبارة "إرادة الحياة". من المؤكد أنه لم يتلقَّ الحقيقة ذلك

1 زكريا، فؤاد، نفس المرجع، ص 106.

2 جعفر، صفاء عبد السلام علي، مرجع سبق ذكره، ص 441.

الذي كان يتكلم عن إرادة الحياة، فهذه الإرادة غير موجودة، لأن ما ليس موجودًا لا يستطيع الإرادة، وكيف يمكن لما ليس في الحياة أن يرغب أيضًا في الحياة؟

وهنا نجد إعادة لقراءة مفهوم القوة، محاولًا تنقيته من المفهوم الشائع أو السطحي، الذي يعتبر إرادة القوة تعني ببساطة الرغبة في القوة أو السيطرة أو السعي إليها كغاية. بل يجب فهمها كمبدأ داخلي ينظم الحياة. كما يرفض فكرة "إرادة الحياة" التي تجعل الحياة شيئًا يرغب في نفسه، معتبرًا أن ما ليس موجودًا لا يمكن أن يريد. فإرادة القوة ليست اندفاعًا نحو شيء مفقود، بل هي حركة تُعبّر عن نفسها من خلال التفوق. كما أن فكرة إرادة القوة حسب جيل دولوز هي مفهوم جديد في الفلسفة، تمامًا خلقه هو نفسه وأدخله إلى الفلسفة. [1]

المطلب الثاني: نقد أفكار نيتشه

إن الاطلاع على كل الفلاسفة الذين درسوا فلسفة نيتشه يقودنا إلى قناعة مفادها أن كل نيتشوي انقلب على نيتشه، بمعنى أن كل فيلسوف أو مفكر أو حتى باحث مبتدئ درس نيتشه يتأثر بالضرورة بمواقفه ويدور في فلكه، لكن هذا الدوران سرعان ما يتحول إلى سهم الخروج. [2]

ومن بين هؤلاء نجد فؤاد زكريا في كتابه نيتشه، حيث وجّه العديد من الانتقادات إلى نيتشه، من بينها أن تكون اللا أخلاقية حملة على الأخلاق بوجه عام، لا على أخلاق عصر معين فحسب. وأول ما يتبادر إلى الأذهان بشأن هذا المعنى أن الحملة على الأخلاق بوجه عام تعني العودة إلى حالة الفوضى، والافتقار التام إلى التنظيم، والرجوع إلى شريعة الغاب في معاملة الناس بعضهم البعض، وهذا يعني غياب معيار أخلاقي ثابت عند نيتشه، حيث يوضح فؤاد زكريا أن نيتشه لا يعتمد على أخلاق عصر معين أو مذهب محدد، بل ينظر إلى الأخلاق من زاوية نقدية تامة قد تؤدي إلى حالة من الفوضى واللّا نظام، حيث يرفض القانون والتقليد لصالح مبدأ القوة، وهذا الموقف قد يُفهم على أنه دعوة إلى الفوضى المطلقة. [3]

---

1 دولوز، جيل، نيتشه والفلسفة، ترجمة: أسامة الحاج، بيروت، ص 102–103.

2 عبد الكريم، عينيات، نيتشه والإغريق: إشكالية أصل الفلسفة، ط1، بيروت، لبنان: الدار العربية للنشر، 2010، ص 287.

3 فؤاد زكريا، مرجع سبق ذكره، ص 96–97.

ومن بين الانتقادات التي وُجّهت له، بخلاف فؤاد زكريا، أن تحويل القيم الذي يدعو إليه نيتشه لا يمكن قبوله لبطلانه، فالقسوة والكبرياء الوقحة والأنانية وتقديس القوة وكره الضعفاء غايات لا تُشرّف الإنسان، ولا يُمجّدها إلا مجنون أو مجرم. لهذا نرى أن نيتشه يهدم أكثر مما يبني حين يدعو إليها، ونراه ينتهي بالكفر بكل شيء، وحتى بالحياة التي جعل منها أساس إيمانه الفلسفي. أي أن دعوة نيتشه إلى قلب القيم الأخلاقية مرفوضة لأنها تؤدي إلى تمجيد صفات لا تُشرّف الإنسان، مثل القسوة والأنانية... وهي قيم لا يتبناها إلا من فقد إنسانيته، ولذلك فإن نيتشه لا يبني منظومة بديلة بقدر ما يدمّر القيم السائدة، فبدلاً من أن يسمو بالإنسان، يجرّه إلى حالة من الفوضى.[1]

كما أخطأ نيتشه حين اعتبر عظمة الإنسان كل شيء، وأخطأ في فهمه لها إذا اعتبرها في العبد عن الله والاستغناء عنه، لا في القرب منه والاحتياج إليه. فالإنسان الذي يتمرد على الله يُحطّ من قيمته ويضلّ طريقه، ويصير فريسة لدعواه وغروره، لأنه لا يقدر على شيء وحده، فهو لا يقدر أن يصير إلهاً ولا أن يخلق قيمه، ولأنه مخلوق، أُعطي له الوجود وأُنعِم به عليه. ومن ثم فإن نيتشه وقع في خطأ جوهري حين ربط بين هذه العظمة بالتمرد على الله والاستغناء عنه، فبدلاً من أن يرى السمو الإنساني في القرب من الله، جعل نيتشه العظمة في الاستقلال عن الله ونفيه، وهذا يعود بالسلب على الإنسان، الذي يتمرد على خالقه ولا يسمو به، بل يقلل من قيمته، وهذا ما يجعله يقع ضحية لغروره وعجزه، فالإنسان كائن مخلوق لا يستطيع أن يضع قيمه بنفسه، ولا أن يستغني عن مصدر وجوده، لأن حقيقته مرتبطة بالله الذي منحه الحياة، ومن دون هذا الارتباط يصبح الإنسان ضعيفًا ويخسر جوهره. [2]

كما أن تقسيمه الناس إلى سادة وعبيد هو الذي أعطى العنصرية الهتلرية، والتي تقوم على القول بأن هناك أجناسًا سامية وأجناسًا دنيئة، وأن للأولى حق تحويل الثانية إلى عبيد، نظرًا لامتيازات الأقوياء الذين يكونون نماذج بشرية سامية، يتكون منها "شعب الموالي". [3]

1 ربيع، ميمون، مرجع سبق ذكره، ص 99.

2 ربيع، ميمون، نفس المرجع، ص 100.

3 نفس المرجع، ص 97.

كما أن تمييز نيتشه بين الضعفاء والأقوياء تمييزٌ عنصري لا يقوم على معيار مقبول للسمو الحقيقي، لأن الضعيف في ميدانٍ ما قد يكون من الأكابر في آخر، وكذلك القوي. وبالتالي يمكن القول إن هذا التفريق بين نوعين من البشر (الأقوياء والضعفاء) هو تمييز عنصري وغير موضوعي، لأنه لا يستند إلى معيار عادل لتحديد القيمة الإنسانية، فقد يكون الفرد ضعيفًا في جانبٍ ما، لكنه متميز ومتفوق في جانب آخر. [1]

كما أن إرادة القوة التي يقول بها نيتشه لا تكون مقبولة أخلاقيًا، ومرفوضة إذا اعتُبرت «قوة عمياء، محمومة، تتغذى من تمجيدها لنفسها ولا تطلب غاية لها سوى ذاتها». فالديناميكية لا يمكن أن تكون أخلاقية بذاتها، إذ يجب أن تكون لها غاية وتهذيب، وتجعل منها قوة في خدمة الخير. وبالتالي فإن إرادة القوة عند نيتشه تفتقر إلى البعد الأخلاقي إذا فُسرت على أنها اندفاع أعمى لا يسعى إلا إلى تعزيز ذاته، فالقوة التي لا تسعى إلا لتكريس نفسها وتمجيد وجودها تفقد قيمتها الأخلاقية، لأنها تتحول إلى وسيلة للهيمنة فقط، ولكي تَكسب الإرادة معنى أخلاقيًا، لابد أن تكون موجهة نحو هدف إنساني أخلاقي، يُحوّل طاقتها إلى قوة خيرية. [2]

أما النقد الموجّه لفكرة "العود الأبدي"، فهي فكرة ترتبط ضرورة بالإيمان بالآلية، فلا محل لها إلا في مذهب يؤكد أن الضرورة المطلقة تتحكم في الحوادث، وأن وقوع الحادثة يستتبع وقوع سائر الحوادث منها على نحو آلي. فلا يُستنتج منها سوى أنه من الممكن أن تطرأ على الكون حالة طرأت عليه من قبل، فهذا يقتضي تحكُّم الآلية في مساره، وهذا يعني أن فكرة العود الأبدي تفترض أن الكون يسير بطريقة آلية حتمية، بحيث تتكرر الحوادث دائمًا بنفس الشكل، وهذا يعني أن الإنسان مُجبر على تكرار نفس المسار، ولا يملك حرية التعبير، وبالتالي تصبح الحياة مجرد تكرار آلي بلا معنى أخلاقي، وهذا ما يُلغي حرية الإنسان. [3]

كما نلاحظ مدى تأثير فكرة العود الأبدي في نيتشه، والآمال التي علقها عليها في خلق بشرية جديدة تؤمن بالأرض وتكافح فيها كفاح الأبطال. وإذا أدركنا أن هذا كله يُبنى على أساس لا يدعمه العقل، فسوف نجد هنا

1 نفس المرجع، ص 99.

2 نفس المرجع، ص 98.

3 فؤاد زكريا، مرجع سبق ذكره، ص 146.

مثالًا آخر يُوضح لنا ذلك النمط النفسي الخاص الذي ينتمي إليه نيتشه، بما فيه من افتقار إلى المعقولية، ومن ذاتية متطرفة تُسارع إلى تعميم الأفكار واستخلاص النتائج منها قبل أن تنضج تلك الأفكار، أو يثبت الذهن إمكان تحقيقها أصلًا. وبالتالي، فإذا تأملنا مدى أهمية العود الأبدي عند نيتشه، والآمال الكبيرة التي بنى عليها مثل خلق "إنسان جديد" يؤمن بالأرض ويكافح فيها كالأبطال، ثم نكتشف أن هذه الفكرة ليست مبنية على أسس عقلية صحيحة، فإننا ندرك أن نيتشه كان يتحرك بدافع نفسي خاص، عاطفي وغير عقلاني، كما أن نيتشه كان يُطلق أفكاره بطريقة سريعة وانفعالية دون أن يختبرها أو يتحقق من صحتها، وهذا ما يُسمى بالذاتية المتطرفة والافتقار إلى المعقولية. [1]

ولنمضِ في النقد خطوة أخرى، فنفترض أن العود الأبدي قد تحقق بالفعل، أي أن العالم الذي نعيش فيه قد تكرر من قبل وسيتكرر فيما بعد بكل تفاصيله عددًا لا متناهيًا من المرات، فهل يكون له مع ذلك تأثير نفسي أو أخلاقي على الفرد؟ إن العود الأبدي لن يكون له هذا التأثير إلا إذا كان مركبًا مع الحالة الحاضرة، فليس للتجربة المتكررة قيمة في حياة الفرد إلا إذا تذكّرها فيما بعد واستفاد منها في وقت مشابه. وبالتالي، فتكرار الحياة دون وعي لا يُضيف معنى أو قيمة للفرد، لأن التجربة المتكررة تصبح بلا فائدة إذا لم يتم استحضارها والاستفادة منها في الوقت المناسب. بمعنى آخر، لا قيمة للتكرار في حد ذاته ما لم يقترن بوعي الإنسان وقدرته على الاستفادة منه في تجربته الحالية. [2]

1 فؤاد زكريا، مرجع سبق ذكره، ص 147.

2 فؤاد زكريا، مرجع سبق ذكره، ص 128.

الخلاصة

تُظهر دراسة امتداد الفلسفة النيتشوية في الفكر الغربي كيف استلهم مفكرون كبار، من أمثال هايدغر وفوكو وفرويد، أفكار نيتشه وطوّروها بطرق فتحت آفاقًا جديدة في مجالات الفلسفة والتحليل النفسي والاجتماعي. أما في السياق العربي، فقد برز حضور الفكر النيتشوي في كتابات مفكرين مثل نديم البيطار وفرح أنطون وعبد الرحمن بدوي، الذين سعوا إلى توظيف مفاهيم "أخلاق القوة" في مقاربة الأزمات الأخلاقية والاجتماعية التي يعانيها الواقع العربي.

في المقابل، جاءت القراءة النقدية لأفكار نيتشه، كما عند فؤاد زكريا، لتُبرز نقاط الضعف في بعض مفاهيمه، وخصوصًا في تصوره لأخلاق السادة والعبيد، وفهمه لمفاهيم "موت الإله"، و"إرادة القوة"، و"العود الأبدي". ومع ذلك، فإن التقييم العام يُقرّ بثراء بعض هذه الأفكار وجدّتها، حيث تظلّ فكرة "العود الأبدي" ذات دلالة فلسفية عميقة، كما أن نقد نيتشه للمسيحية ومفهوم "موت الإله" يفتحان مجالًا واسعًا للتأمل والنقاش.

وعليه، فإن المشروع النيتشوي يظلّ حيًّا، متأرجحًا بين النقد والتثمين، ومُحدثًا تأثيرًا مستمرًا في الفكرَين الغربي والعربي، مع ما يتيحه من إمكانات متجددة لفهم القيم والذات في عالم معقّد ومتحوّل.

الخاتـــــمة

الخاتمة

من خلال ما تطرّقنا إليه في هذه الدراسة، يمكن القول إن فلسفة القيم عند نيتشه تُعدّ ثورة فكرية وجذرية على الموروث الأخلاقي والديني الذي حكم الثقافة الغربية لقرون طويلة. فمن خلال تحليل الجذور التاريخية لفكره، يتضح أن نيتشه انفتح في تكوينه الفلسفي على أعمال فلاسفة كبار، وكان انفتاحه نقديًا بالأساس؛ إذ لم يقبل أفكارهم كما هي، بل دخل معها في حوار فلسفي عميق، مستلهمًا أحيانًا، ورافضًا أحيانًا أخرى.

فقد استلهم من كانط فكرة دور الذات في خلق القيم، التي لا تأتي من سلطة خارجية، بل تخلقها الذات القوية، غير أنه خالفه في اعتبار أن القيم لا تقوم على الواجب أو العقل، بل على الإرادة والقوة. كما ورث عن شوبنهاور تصوره للإرادة بوصفها محركًا للوجود، لكنه أعاد تأويلها ضمن مفهوم "إرادة القوة". ومع ذلك، تجاوز نيتشه هذين الفيلسوفين بتأسيس موقفه الخاص والمنفرد في فهم القيم وإعادة تقييمها.

بدأ نيتشه مشروعه بتحليل الجذور الأخلاقية التي مهدت لانحطاط القيم، خاصة الأخلاق المسيحية، التي رآها تعبيرًا عن ضعف الإرادة وامتثالًا باسم التواضع والخلاص، واعتبرها "أخلاق عبيد" تُعادي الحياة وقيم القوة، وتروّج للخضوع والانكسار. ومن هنا أتت دعوته إلى "قلب القيم"، التي هدف من خلالها إلى هدم القيم التقليدية بوصفها معادية لإرادة الحياة، نشأت من مشاعر حقد واحتقار تجاه الأقوياء.

في مقابل هذا الهدم، اقترح نيتشه رؤية بديلة تؤسس لقيم جديدة نابعة من "أخلاق السادة"، وهي قيم تنبع من الذات وتمتاز بالحياة والقوة والتفوق، يبدعها الأفراد الأقوياء والنبلاء. هذه القيم لا تستند إلى موروث تقليدي، بل تنبثق من إرادة القوة، باعتبارها الطاقة الحيوية الكامنة في الإنسان، القادرة على خلق قيمها الخاصة وتحريره من الانحطاط.

وتُعدّ "إرادة القوة" المبدأ الذي يدفع الإنسان لتجاوز ذاته نحو تحقيق نموذج "الإنسان الأعلى"، الذي لا يعيش وفق ما "يجب أن يكون"، بل وفق طبيعته الخاصة وإرادته الحرة. الإنسان الأعلى لا يخضع للقيم الموروثة، بل يبتكر قيمه الخاصة، ويعبّر عن أقصى درجات التفوق الروحي، ويمثل رمزًا للإنسان القوي والخلاق.

ويمثّل مفهوم "العود الأبدي" اختبارًا لهذه الإرادة؛ إذ يُطلب من الإنسان أن يعيش حياته كما لو أنها ستتكرر إلى الأبد، بما فيها من أفراح وآلام، ويقبل بذلك بوعي وشجاعة. وهذا القبول لا يقدر عليه إلا الإنسان الأعلى، الذي بلغ ذروة القوة الروحية والتصالح مع الواقع، فيتحول العود الأبدي إلى معيار للتفوق الوجودي.

الخاتمة

وبذلك، يُعد المشروع النيتشوي من المشاريع الفلسفية التي أحدثت تحوّلًا جذريًا في التفكير الأخلاقي، وقد ترك تأثيرًا كبيرًا في الفكر الغربي، لا سيما لدى مفكرين بارزين كهايدغر، وفوكو، وفرويد، الذين استلهموا بعض أفكاره وطوّروها. كما وجد هذا المشروع صدى في السياق العربي من خلال مفكرين أمثال نديم البيطار وعبد الرحمن بدوي، ممّا يدل على انخراط فعّال في قضايا الهوية والقوة والأخلاق.

ورغم أهمية هذا المشروع، لم يخلُ من النقد، كما بيّن فؤاد زكريا وغيره، حيث وُجّهت له انتقادات بشأن تقسيمه الأخلاق إلى "أخلاق السادة والعبيد"، وفكرة "موت الإله"، و"إرادة القوة"، إذ رأى البعض أنه بالغ في نقده اللاذع. ومع ذلك، تظل مفاهيم مثل "العود الأبدي" ونقد المسيحية من المساهمات الفلسفية العميقة التي تستحق التأمل والدراسة.

في الختام، يبقى المشروع النيتشوي ساحةً لصراع فكري دائم بين الهدم والبناء، بين نقد القيم التقليدية والسعي إلى إعادة صياغة معنى الوجود والذات، مما يجعله ركيزة أساسية لفهم التحديات الفلسفية والثقافية في العالم المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. نيتشه، فريدريك، إرادة القوة: محاولة لقلب كل القيم، ترجمة: محمد الناجي، المغرب، 2011.
2. نيتشه، فريدريك، أفول الأصنام، ترجمة: حسان بورقية ومحمد الناجي، ط1، 1999.
3. نيتشه، فريدريك، العدو المسيح، ترجمة: جورج ميخائيل ديب، ط2، [دون ناشر].
4. نيتشه، فريدريك، العلم المرح، ترجمة: حسان بورقية ومحمد الناجي، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1993.
5. نيتشه، فريدريك، عشق الأوثان، ترجمة: علي مصباح، ط1، بيروت، منشورات الجمل، 2010.
6. نيتشه، فريدريك، في جينيالوجيا الأخلاق، ترجمة: فتحي المسكيني، تونس، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، سلسلة ديوان الفلسفة، 2010.
7. نيتشه، فريدريك، ما وراء الخير والشر، ترجمة: جيزيلا فالور، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2003.
8. نيتشه، فريدريك، نقيض المسيح، ترجمة: علي مصباح، ط1، بغداد، 2014.
9. نيتشه، فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: علي مصباح، ط1، دار اقرأ، بغداد، 2007.

ثانيًا: المراجع

1. اندلسي، محمد، نيتشه وسياسة الفلسفة، ط1، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2006.
2. بدوي، عبد الرحمن، خلاصة الفكر الأوروبي، سلسلة فلاسفة نيتشه، ط5، الكويت، وكالة المطبوعات، 1975.
3. بلعقروز، عبد الرزاق، نيتشه ومهمة الفلسفة: قلب ترتيب القيم والتأويل الجمالي للحياة، ط1، دار عربية للعلوم، بيروت.
4. جمزاوي، نهلة، فلسفة الأخلاق: مفهومها، تاريخها، تطورها، الأردن.
5. جين، لورانس، أقدّم لك نيتشه، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة.
6. دولوز، جيل، نيتشه، ترجمة: أسامة الحاج، ط1، بيروت، دار المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1998.
7. ديورانت، ول، قصة الفلسفة، ترجمة: فتح الله محمد مشعشع، ط6، بيروت، مكتبة معارف، 1988.
8. زكريا، فؤاد، نيتشه، ط2، دار المعارف، مصر.
9. سعد الله، أبو القاسم، قضايا الفكر المعاصر، ط1، بيروت، 1997.
10. شتاينر، رودولف، نيتشه مكافحًا ضد عصره، ترجمة: حسن صقر، ط1، دمشق، دار الكلمة، 1998.

قائمة المصادر والمراجع

11. عريضة، محمد، فريدريك نيتشه: نبي فلسفة القوة، ط1، بيروت، دار المكتبة العلمية، 1993.
12. عوض، رمسيس، ملحدون ومعاصرون، ط1، 1998.
13. غريزي، توفيق، شوبنهاور: فلسفة التشاؤم، ط1، بيروت، دار الفارابي، 2008.
14. كامل، فؤاد، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ط1، بيروت، دار الجبل، 1992.
15. كامل، مجدي، فريدريك نيتشه: حياته، فلسفته، مؤلفاته، القاهرة، دار الكتاب العربي.
16. كامل، مجدي، فريدريك نيتشه: شيطان الفلسفة الأكبر، ط1، دمشق، دار الكتاب العربي، 2011.
17. كانط، إيمانويل، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، ط1، ألمانيا، 2002.
18. الكحلاني، حسن، الفرداني في الفكر الفلسفي المعاصر، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2004.
19. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، ط5، القاهرة، دار المعارف.
20. كلي رايت، وليم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة، مكتبة الأسرة.
21. مصطفى، نبيل عبد اللطيف، فلسفة القيم: نماذج نيتشوية، بيروت، دار الفارابي.
22. مفرك، جمال، الإرادة والتأويل: تغلغل النيتشوية في الفكر العربي، ط1، 2009.
23. ميمون، ربيع، إشكالية القيم في الفكر المعاصر، الجزائر.
24. ميمون، ربيع، نظرة القيم في الفكر المعاصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

ثالثًا: المعاجم

1. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، جزء 2، بيروت، مكتبة مدرسية، 1982.
2. مراد، هبة، معجم فلسفي، القاهرة، دار قباء الحديثة، 2007.

رابعًا: المجلات

1. بن عزة، سعيدة، وفوزي لوحيدي، "القيمة الأخلاقية في فلسفة كانط"، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، جامعة وادي سوف، مجلد 5، عدد 4، 2021.
2. جمزاوي، نهلة، "أصالة فلسفة نيتشه"، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 27، جزء 1، 2021.
3. خمري، رضا، "مفهوم الإنسان عند نيتشه"، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد 1، المجلد 10، 2022.
4. العامري، غصنة حمد متعب، "أخلاق القوة بين المفهوم الإسلامي والغربي"، مجلة الإمارات، العدد 41، 2021.
5. عبد الحكيم، سماح، ومصطفى عمارة، "قيمة الشفقة في فلسفة نيتشه"، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 28، الجزء 1، 2023.
6. عبد الغني، عليوة، "الديانة المسيحية بين التأصيل والنقد في فلسفة نيتشه"، جامعة سطيف، دون تاريخ.
7. عز الدين، مولودي، "الحس النقدي أساس المعرفة"، مجلة تبين، العدد 28، ربيع 2019.
8. قايد، سليمة، "النزعة العدمية عند نيتشه: حقيقتها، أسسها، ومخاطرها على الإنسان المعاصر"، مجلة المدربين، العدد 14، المجلد 1، 2022.
9. لاند منصور، ريم، "دلالة النسق الكانطي"، مجلة غير محددة الاسم، مجلد 2، العدد 2، 2024.
10. لعموري، شهيدة، "أخلاق السادة والعبيد"، مجلة علوم اجتماعية وإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 2، 2023.

خامسًا: الأطروحات

1. آمال، عبارة، الفيلسوف وتجربة الإبداع عند فريدريك نيتشه، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2014/2013.
2. لخريف، نذير، الإنسان المتسامي عند فريدريك نيتشه ومحمد إقبال وجبران خليل جبران، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 1، 2020/2019.

ملخص الدارسة

يشكل سؤال القيم محورًا مركزيًا في فلسفة نيتشه، حيث اعتبر أن القيم الأخلاقية السائدة في عصره هي وليدة ضعف لا قوة. شكّل كل من كانط وشوبنهاور محطتين أساسيتين في تشكيل وعيه الفلسفي، إذ انطلق من نقد مشروعهما في بناء القيم، خاصة الأخلاق المسيحية التي رأى فيها نموذجًا لأخلاق العبيد التي تمجّد الخضوع والشفقة، وفي المقابل، دعا نيتشه إلى أخلاق السادة التي تعكس إرادة القوة، المبدأ المحرك لكل تطور إنساني، والذي يرتقي بالإنسان إلى حالة الإنسان الأعلى، وهو الفرد الذي يصنع قيمه بنفسه. كما يمثل مفهوم العود الأبدي اختبارًا لمدى قبول الإنسان لحياته بكل تفاصيلها، حيث امتد أثر نيتشه في الفكر الغربي، ولاقى تفاعلاً متباينًا في العالم الغربي والعربي الانه ان اراءه الفلسفية لم تسلم من النقد بين معارضين ومؤيدين لتللك الآراء.

كلمات مفتاحية: القيمة، إرادة القوة، قلب القيم، أخلاق السادة، موت الإله، الإنسان الأعلى، العود الأبدي.

Study Summary

The question of values occupies a central place in Nietzsche's philosophy, where he considers the dominant moral values of his time to be born of weakness rather than strength. Both Kant and Schopenhauer were fundamental in shaping his philosophical awareness, as he began by critiquing their approaches to the foundation of values—particularly Christian morality, which he saw as a model of slave morality that glorifies submission and compassion. In contrast, Nietzsche called for a master morality that embodies the will to power, the driving principle behind all human development, which elevates the individual to the state of the Übermensch, the one who creates his own values. The concept of eternal recurrence serves as a test of one's acceptance of life in all its details. Nietzsche's influence extended throughout Western thought and received varied reactions in both the Western and Arab worlds, as his philosophical views were met with both support and opposition.

Keywords: value, will to power, revaluation of values, master morality, death of God, Übermensch, eternal recurrence.